الوعي

جامعية - فكرية - ثقافية

السنة التاسعة والثلاثون
جمادى الأولى ١٤٤٧هـ
تشرين الثاني ٢٠٢٥م

العدد
٤٧٢

كلمة الوعي

الخروج عن المألوف والبحث عن التغيير خارج الصندوق

محرر الوعي

الخلافة كبديل استراتيجي

الدكتور محمد الجيلاني

هل سيناريو الحرب ضد الدولة الإسلامية حتمي؟ أم أنه خطأ استراتيجي فاحش؟

الأستاذ ثائر سلامة

لوازم الفهم السياسي

الأستاذ لقمان حرز الله

قلبُ المعادلة: حين يتحوّل الشرع إلى عبء، والتفلّتُ منه إلى منهج!

الأستاذ منذر عبد الله

خطر الركون إلى الظالمين.

جامعية - فكرية - ثقافية
مجلة الوعي تصدر غرة كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان
بترخيص رقم «١٦٦» صادر عن وزارة الإعلام اللبنانية بتاريخ ١٩٨٩/١١/١٥
www.al-waie.org Subjects@al-waie.org

المحتويات

• كلمة الوعي: الخروج عن المألوف والبحث عن التغيير
خارج الصندوق — محرر الوعي — ٣

• الخلافةُ: البديلُ الإستراتيجيُّ لمواجهةِ هندسةِ الهيمنةِ الأمريكيةِ د. محمّد الجيلاني ٦

•هل سيناريو الحرب ضد الدولة الإسلامية حتمي؟
أم إنه خطأ استراتيجي فاحش؟ — الأستاذ ثائر سلامة — ١٥

• خطرُ الرُّكونِ إلى الظَّالمينَ ٢٦

• لوازم الفهم السياسي ورسم السياسات — الأستاذ: لقمان حرزالله — ٣٠

• الصحابيُّ الجليلُ عُتبةُ بنُ غزوانَ رضيَ اللهُ عنه — الأستاذُ محمّدٌ مشهورٌ — ٣٨

• من مقاصدِ سُورَةِ الأَنْعَامِ — الأستاذة أمُّ آدم — ٣٩

• أخبار المسلمين في العالم ٤٢

• مع القرآن الكريم: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٍ..﴾ — الأستاذ إبراهيم سلامة — ٤٨

• كلمة أخيرة: قلبُ المعادلة: حين يتحوّل الشرع إلى عبء،
والتفلّتُ منه إلى منهج! — الأستاذ منذر عبد الله — ٥٠

• غلاف أخير: فضائح إبستين: حين تنكشف عورة الحضارة الغربية ونخبتها الحاكمة ٥٢

الخروج عن المألوف والبحث عن التغيير خارج الصندوق

لقد شكل فوز المرشح الديمقراطي زهران ممداني، المعروف بمعارضته الشديدة للرئيس الأمريكي دونالد ترامب، برئاسة بلدية نيويورك، معقل الرأسمالية والرأسماليين بل وأكبر مدينة في الولايات المتحدة الأمريكية، لحظة فارقة استوقفت الكثير من المراقبين وصناع القرار والباحثين، فنيويورك تُعدّ مركزًا عالميًا للتمويل والثقافة والفن والأزياء والإعلام، وتعدّ واحدًا من أكبر الاقتصادات في العالم وأكثرها تنوعا، وهي تعد أحد أهم مراكز التجارة والمال في العالم، فهي عاصمة اقتصادية للولايات المتحدة الأمريكية لكثرة الشركات والبنوك العالمية فيها، وفيها مقر الأمم المتحدة وسوق الأوراق المالية ومؤشر الداوجونز الصناعي، إلى درجة أن مدينة نيويورك توصف بأنها العاصمة الثقافية والإقتصادية للعالم.

فهو فوز لافت للنظر، من باب أهمية مدينة نيويورك ورمزيتها لدى الساسة وصناع القرار في أمريكا والحزبين المتنافسين على الحكم؛ الجمهوري والديمقراطي. فقد جاء فوز ممداني المنحدر من عائلة مسلمة وبأفكاره التي شكلت صدمة لصناع القرار في أمريكا، خارجا عن المألوف. فهو قد تجاهل حيتان المال والرأسماليين في نيويورك وأمريكا، وكذلك اللوبيات والمؤثرين في الوسط السياسي وعلى رأسهم اللوبي الصهيوني، حتى أنه اعتمد في تمويل حملته الانتخابية على تبرعات الأفراد دون الأربعين دولارا، بدلا من الملايين التي اعتاد المرشحون الركون إليها في حملاتهم الانتخابية من الحيتان والرأسماليين واللوبيات، ولم يتوان عن مهاجمة ترامب وحزبه وسياساته، وأظهر عداوته للرأسماليين والنخب وأصحاب الشركات الضخمة، وأظهر معارضته لحرب كيان يهود على غزة وجرائمه في فلسطين، حتى أنه توعد بالسعي لاعتقال رئيس وزراء كيان يهود بنيامين نتنياهو إن زار نيويورك، وفي المقابل نادى بحاجيات الشعب والفقراء ومحدودي الدخل، وتعهد ببذل قصارى جهده لإنصافهم وتحسين أوضاعهم.

باختصار هو رجل جاء بأفكار عكس التيار الحاكم في أمريكا، حتى أن الرئيس الأمريكي، دونالد ترامب، قد صدم من فوزه في الانتخابات، وهاجمه وهاجم كل من انتخبه.

وبالنظر إلى اللافت في الحدث، نلمس شيئا جديدا بدأ يتبلور في المجتمعات الغربية، بعد أن أخذ يتشكل منذ أعوام وتصاعد في آخر عامين، لا سيما بسبب الحرب على غزة التي عرت كل الأنظمة؛ وهو خروج أجيال شابة تنقلب على القديم الموروث لدى الغرب، وترسم لها طابعا جديدا وتوجها ثقافيا مختلفا عما كان سائدا، من باب القناعة بفشل القديم أو سوئه أو على الأقل الحاجة إلى تغييره.

فهذا مثلا دونالد ترامب يصرح في إشارة إلى مدى التغير الذي أصاب المزاج السياسي العالمي، والوعي المجتمعي، خاصة لدى الأجيال الصاعدة، قائلا: «قبل عشرين عامًا، كان لإسرائيل اللوبي

الأقوى في الكونغرس، أقوى من أي دولة أو مؤسسة أو شركة. أما اليوم فلم يعد بهذا المستوى. إنه أمر مذهل بالنسبة لي أن أرى ذلك.« وأضاف: «أصبح من الممكن انتقاد إسرائيل علنًا في أروقة السياسة الأميركية، وهو ما كان مستحيلًا في السابق».

حتى أن فوز ممداني أعاد إلى الطاولة بحث فوز دونالد ترامب نفسه برئاسة أمريكا، فقد جمع الكثيرون بين الرجلين، لكونهما جاءا بأفكار جديدة انقلابية -إلى حد ما- على القديم المألوف، فترامب ذلك الملياردير المتعجرف، الفاقد للدبلوماسية والبروتوكولات المعهودة في الأوساط السياسية، فاز بالانتخابات بخلاف كثير من التوقعات التي سبق ورافقت السباق الرئاسي، ووقف الكثيرون على أسباب فوز ترامب سيئ السمعة والصيت والتاريخ، وكان أقوى تلك التفاسير هو أن ترامب جاء بأفكار جديدة غير مألوفة وخاطب منطقة الإحساس لدى الشعب الأمريكي؛ الاقتصاد وسوء الأوضاع المعاشية، فعلقوا الآمال عليه عله يخرجهم مما أصابهم من تردي وضعهم الاقتصادي بحديثه عن الأولوية لأمريكا وللأمريكيين والعودة بأمريكا عظيمة من جديد، وهو ما عدّه كثيرون تفكيرا خارج الصندوق، وهو نفس المصطلح الذي أعادت إدارة ترامب استخدامه لاحقا ميزةً لها، ثم سرعان ما بدأت آمال الشعب الأمريكي على ترامب وبرنامجه تتراجع، بعد أقل من عام من توليه للرئاسة، وجاءت انتخابات بلدية نيويورك تعبيرا عن خيبة الآمال في ترامب وبرامجه.

والقاسم المشترك بين فوز الرجلين بالانتخابات هو أن كليهما جاءا بأفكار رآها الشعب الأمريكي خروجا عن المألوف الذي هو السبب في تردي أوضاعهم وتراجع أحوالهم المعاشية، فكان ذلك أشبه ببداية الانقلاب على الرأسمالية، وتعبيرا عن السأم من النظام السائد الذي لمست الأغلبية أنه مصمَّم لصالح الرأسماليين والحيتان على حسابهم، وهذه بداية تحطم صنم الديمقراطية والرأسمالية التي اكتوى العالم بنارها منذ صعودها.

وإنه إن كان ما حدث في أمريكا ونيويورك يمثل حدثا لافتا وبارزا فهو ليس الوحيد ولا الأوحد، بل هو برز لكونها بلادا تتمتع بشيء من الحرية والقدرة على التعبير، لكن تلك الأحاسيس والتوجهات موجودة، وبشكل أكبر، في باقي المجتمعات ولدى باقي الشعوب وعلى رأسها الشعوب في البلاد الإسلامية، ولكن حالة القمع والدكتاتورية هي التي تحول بين رغبة الناس في التغيير وتعبيرهم عن ذلك أو قدرتهم على إحداثه.

بل إن شعور المسلمين بالحاجة إلى التغيير والرغبة في الخلاص من الحال القائم في بلادهم هو أشد وأقوى، لكونهم يذوقون مرارة العيش وشظفه أكثر من غيرهم، أكثر من أمريكا التي يعدّ شعبها مرفها مقارنة معهم، ولكونهم مدفوعين بقناعات دينية وأوامر ربانية بوجوب التغيير والتحول إلى النظام الإسلامي الذي ارتضاه لهم ربهم منهجا للحياة.

فقناعة المسلمين بفساد الرأسمالية وسوئها قناعة متقدمة عن غيرهم من الشعوب، ومصحوبة بالطبع بمنطق الإحساس الذي يعزز تلك القناعة ويرسخها، ومدفوعة بقناعات شرعية، وتشكل تلك القناعة لدى شعوب الغرب وخاصة الشعب الأمريكي الرائد في الرأسمالية والديمقراطية تعبيرا صادقا عن حاجة البشرية كلها إلى مبدأ ينقذها من تغول النخب والطغم الحاكمة، وتسلطها على رقاب الناس بتشريعات وقوانين وأنظمة أهلكت الناس وأوردتهم موارد الضنك.

وإن كان هذا يصدق على الناحية الاقتصادية والحاجات المادية، فهو أشد وضوحا في النواحي الاجتماعية والإنسانية والخلقية، بعد أن أدخلت الرأسمالية الشعوب في خواء روحي وخلقي وإنساني، وضيقت عليهم معيشتهم وأفقدتهم الطمأنينة والسكينة.

ولا شك أن الطغم الحاكمة ومنذ صراع الحق والباطل يخشون تفكير الشعوب بالخروج عن المألوف الذي رسخوه بأيديهم ليديم لهم هيمنتهم وسطوتهم. ولطالما كان تفكير الشعوب بالخروج عن المألوف أمرا صعبا وعسيرا، قال تعالى:﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٧٠﴾، فهؤلاء بنو إسرائيل يعيبون على سيدنا موسى عليه السلام خروجه عن مألوف الناس، قال تعالى:﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّفۡتَرٗىۖ وَمَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٦﴾، وكما قالت ثمود لنبيهم صالح عليه السلام:﴿ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ٦٢﴾، وكما قال أهل مدين لنبيهم هود عليه السلام: ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ٨٧﴾.

فالتفكير بالتغيير خارج الصندوق مسألة ليست سهلة، لأن ترك المألوف صعب، وعادة الشعوب أن تفكر بالتغيير ضمن المألوف، حتى تبدأ بفقدان الثقة بالمألوف والمعهود فتنتقل للتفكير بالتغيير خارج المألوف، وهو ما تحتاجه البشرية أشد حاجة في هذه الأيام.

فوصول البشرية إلى قناعة بفساد الديمقراطية والرأسمالية ومن قبلهما الاشتراكية وحاجتها إلى تغيير ينقذها هو أمر مبشر، وهو طبيعي الحصول بعد ما مرت به الشعوب من تجربتها لتلك المبادئ والأنظمة التي تسببت لها بالبؤس والشقاء وفقدان السعادة والطمأنينة. مصداقا لقوله تعالى:﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤﴾، فاللهم هيء للأمة الإسلامية والبشرية معها من يخرجها من ظلام الرأسمالية والديمقراطية وضنك الحكم والطغم الحاكمة، إلى عدل الإسلام وإمامة المسلمين.

فلا أمل للأمة الإسلامية ولا البشرية كلها للخلاص مما هي فيه من بؤس وشقاء إلا بعودة الإسلام إلى نظام حياة وعيش.

الخلافةُ: البديلُ الإستراتيجيُّ لمواجهةِ هندسةِ الهيمنةِ الأمريكيةِ

د. محمّد الجيلاني

مقدّمة: حينَ يتعبُ العالمُ من الفوضى

يقفُ العالمُ اليومَ أمامَ مشهدٍ عالميٍّ يزدادُ اضطرابًا، تتهاوى فيه شعاراتُ الغربِ عن الحرّيّةِ والعدالةِ، وتتحوّلُ الديمقراطيّةُ إلى غطاءٍ لهيمنةٍ اقتصاديّةٍ وعسكريّةٍ، ويرزحُ العالمُ بأسره أسيرًا لقيودِ العولمةِ التي حلّت محلَّ كثيرٍ من القواعدِ العسكريّةِ. هذا التصدّعُ لا يقتصرُ على أزمةٍ اقتصاديّةٍ أو صراعٍ عسكريٍّ عابرٍ، بل يمثّلُ تَداعِيًا أخلاقيًّا وفكريًّا وحضاريًّا لنظامٍ دوليٍّ استنفدَ مخزونَه من المعنى. وأمامَ هذا الوضعِ المريرِ في العالمِ تبرزُ الحاجةُ إلى رؤيةٍ جديدةٍ تمزجِ المادّةَ بالرّوحِ، وتضبطِ السيادةَ بالقِيَمِ، وتستطيعُ أن تُقدِّمَ حلًّا عادِلًا لأزمةِ الإنسانيّةِ الشاملةِ.

وبعدَ دراسةٍ مستفيضةٍ، وتفكيرٍ عميقٍ مستنيرٍ بحقائقَ تاريخيّةٍ تمّ تضمينُها في كتابِ: **The Middle East Paradigm**، أي **إشكاليّةُ الشرقِ الأوسط**، تبيَّن أنّ الخلافةَ الإسلاميّةَ ليست ماضيًا وتاريخًا مضى، بل هي مشروعٌ إستراتيجيٌّ واقعيٌّ يمكن أن يُشكِّل البديلَ الأصيلَ لهندسةِ الهيمنةِ التي قادتها واشنطن لعقودٍ. لقد أثبتتِ التجاربُ على أرضِ الواقعِ فشلَ النماذجِ المستوردةِ، كالقوميّةِ والعَلمانيّةِ والليبراليّةِ، في تحقيقِ الاستقلالِ الحقيقيِّ والنهضةِ، ليس في الشرقِ الأوسطِ فحسب، بل في معظمِ مناطقِ العالمِ، ما ترَكَ الأمّةَ الإسلاميّةَ حتّى اليوم بلا مشروعٍ جامعٍ، فغدتْ أرضًا خصبةً للتجاربِ الخارجيّةِ بدلًا من أن تكونَ فاعلًا في صياغةِ التاريخِ.

وبالتالي فإنَّ جوهرَ الأزمةِ هو أنَّ الأمّةَ الإسلاميّةَ اليومَ بقيتْ بلا مشروعٍ جامعٍ. لقد أصبحتِ المنطقةُ «مفترقَ طُرُقٍ إستراتيجيًّا للإمبراطورياتِ»، يُتداوَلُ فيها النفوذُ والسيطرةُ دونَ وجودِ إرادةٍ ذاتيّةٍ قادرةٍ على صياغةِ التاريخِ بدلًا من أن تكونَ مادّةً له. إنَّ غيابَ المشروعِ السياديِّ القائمِ على قِيَمٍ عُليا هو ما ترَكَ فراغًا أخلاقيًّا وسياسيًّا استغلّتْه قوى الهيمنةِ عبرَ نموذجِ «الاستقرارِ الجيوسياسيِّ للشرقِ الأوسطِ».

الجذورُ التاريخيّةُ للهيمنةِ الأمريكيّةِ: من الإمبراطوريّةِ إلى الهيمنةِ:

لقد شهدتْ منطقةُ الشرقِ الأوسطِ تحوّلًا جيوسياسيًّا عميقًا منذ بدايةِ القرنِ العشرين، تجسّد في انهيارِ النظامِ الإسلاميِّ المتمثّلِ بدولةِ الخلافةِ الإسلاميّةِ التي استمرّتْ لأكثرَ من أربعةَ عشرَ قرنًا، والتي أدّى انهيارُها إلى تقسيمِ العالمِ الإسلاميِّ إلى كياناتٍ هزيلةٍ تقاسمتْها دولٌ أوروبيّةٌ مختلفةٌ كبريطانيا وفرنسا وإيطاليا وغيرها. ثمّ تَبِع ذلك إحلالٌ تدريجيٌّ ومنهجيّ للهيمنةِ الأمريكيّةِ التي حلّت محلَّ الإمبراطورياتِ الأوروبيّةِ.

لقد عملتْ أمريكا، في أعقابِ الحربِ العالميّةِ الثانيةِ، على بلورةِ رؤيةٍ عالميّةٍ تقومُ على مَلءِ الفراغِ الذي خلّفه ضعفُ الإمبراطورياتِ

وانهيارُها، والتحصينِ ضدَّ المدِّ الشيوعيِّ في سياقِ الحربِ الباردةِ. وكان الهدفُ من تلك الرؤيةِ ليس مجرّدَ الاستحواذِ على النفوذِ، بل صياغةَ نموذجٍ جديدٍ للهيمنةِ يختلفُ عن الاستعمارِ التقليديِّ.

هذا التحوّلُ تجسّد بوضوحٍ في مصر، التي كانت حجرَ الزاويةِ للهيمنةِ الأمريكيّةِ في المنطقةِ؛ حيثُ حلّتْ محلَّ النفوذِ البريطانيِّ الذي فشلَ في إعادةِ نفوذِه بعد حربِ السويسِ عامَ ١٩٥٦. نجحتِ الولاياتُ المتحدةُ في إزاحةِ القوى التقليديّةِ واحدةً بعد أخرى من مصر إلى إيران ثمّ العراقِ والسعوديةِ وسوريا، وتثبيتِ نفسِها ضامنًا أمنيًّا وماليًّا ومهيمنًا على الأنظمةِ الإقليميّةِ، سعيًا منها لإعادةِ رسمِ الخريطةِ الجغرافيّةِ والسياسيّةِ للمنطقةِ والحيلولةِ دونَ عودةِ نظامٍ قائمٍ على مبدأ الإسلامِ في المنطقةِ. إذْ إنّ أمريكا كانت تُدركُ تمامَ الإدراكِ أنَّ ما يُهدِّدُ هيمنتَها على الشرقِ الأوسطِ، بل وعلى مركزِها على مستوى العالمِ، هو نظامٌ مبدئيٌّ تحمله أمّةٌ تؤمنُ به، ويُقدِّمُ للعالَمِ مشروعًا بديلًا من رأسماليّةِ أمريكا وعولمتِها واستعمارِها الجديدِ.

لم يكنْ تدخّلُ أمريكا عشوائيًّا فرضتْه ظروفُ ما بعدَ الحربِ العالميّةِ الثانيةِ، بل كان إستراتيجيّةً منهجيةً تهدفُ إلى فرضِ هيمنةٍ أمريكيّةٍ كاملةٍ على أهمِّ إقليمٍ عالميٍّ، تلك الإستراتيجيةُ التي وُضِع أساسُها منذ عهدِ الرئيسِ الأمريكيِّ ترومان (١٩٤٩-١٩٥٣)، وأفصحَ عن بعضِ معالمِها وزيرُ خارجيّتِه «دين أتشيسون» في كتابِه:Present» at the Creation: My Years in the State Department» (حاضرٌ منذ البداية: مذكّراتي في وزارةِ الخارجيّة)، حيث قال: «إنّ هدفَنا لا يكمنُ فقط في استبدالِ دورِ بريطانيا وفرنسا الاستعماريِّ، بل في خلقِ نظامٍ إقليميٍّ جديدٍ بأدواتٍ مختلفةٍ»، ما يعني هيمنةً لا تقلُّ عن هيمنةِ الاستعمارِ السابقِ ولكن بحُلّةٍ جديدةٍ.

وأهمُّ أهدافِ تلك الإستراتيجيّةِ – والتي لا تزالُ قائمةً – هو ضمانُ تدفّقِ الثرواتِ المعدنيّةِ بما فيها النفطُ والغازُ، وضمانُ أمنِ الممرّاتِ المائيّةِ وعملِها، وضمانُ «الاستقرارِ السياسيِّ» للحيلولةِ دون ظهورِ نظامٍ يهدّدُ الأمنَ والوضعَ العالميَّ. وإنْ كان ظاهرُ الأمرِ في بدايةِ رسمِ هذه الإستراتيجيّةِ يوحي بأنّها موجّهةٌ لمنعِ الاتحادِ السوفياتيِّ آنذاك من السيطرةِ على الشرقِ الأوسطِ، إلّا أنّها في حقيقتِها إستراتيجيّةٌ استمرّتْ حتى بعدَ انهيارِ الاتحادِ السوفياتيِّ. وليس في المنطقةِ الآن أيُّ نظامٍ سياسيٍّ يمكنُ أن يهدّدَ مصالحَ أمريكا على المستوى الإقليميِّ والدوليِّ إلّا نظامٌ واحدٌ، وهو نظامُ الإسلامِ المتمثِّلُ بدولةِ خلافةٍ إسلاميّةٍ مرتقبة. وقد أفصحَ عن ذلك رَتْلٌ من زعماءِ أمريكا أمثال جورج بوش، ورَمْسفيلد، وديك تشيني، وكثيرٍ غيرِهم.

ومن ذلك تصريحُ وزيرِ الدفاعِ في عهدِ جورج بوش الابن، دونالد رامسفيلد، حيث قال: «نحن نواجهُ عدوًّا شرسًا؛ فالإسلاميّون الراديكاليّون موجودون، وهم يعتزمون محاولةَ إنشاءِ خلافةٍ في هذا العالمِ وتغييرَ طبيعةِ الدولِ القوميّةِ جوهريًّا، ونحن متردّدون في الانخراطِ في المنافسةِ الفكريّةِ وتوضيحِ حقيقتِهم ومدى وحشيّتِهم» (دونالد رامسفيلد، ٢٠١١).

وقد كشفتِ الدراساتُ الحديثةُ – خاصّةً تلك الصادرةُ عن مجلسِ الشؤونِ الخارجيّةِ

ومعاهدِ البحثِ الإستراتيجيّةِ – أنّ أمريكا تعملُ على إيجادِ أدواتٍ محلّيّةٍ من نفسِ منظومةِ الشرقِ الأوسطِ لتقومَ – تحتَ إدارةٍ أمريكيّةٍ – بالعملِ على الحفاظِ على أمنِ الشرقِ الأوسطِ واستقراره الجغرافيِّ السياسيِّ والفكريِّ، كما ورد عن معهدِ بروكنغز سنةَ ٢٠١٨، الذي رجّح أنْ تُوكَلَ هذه المهمّةُ لتركيا وإيران و«الكيانِ اليهوديِّ» والسعوديةِ بإشرافٍ وضمانٍ من قبلِ أمريكا وروسيا، وهو ما اصطلحَ عليه بنموذجِ (٤+٢) (انظر العدد رقم ٤٧١ من مجلّةِ الوعي، مقال: «نموذجُ الشرقِ الأوسطِ الجديد: الهيمنةُ الأمريكيّةُ أم الإسلامُ وخلافتُه؟»).

وقد خطتْ أمريكا خطواتٍ واسعةً نحو تحقيقِ هذه الإستراتيجيّةِ بعد أنْ تمكّنتْ من إيجادِ نفوذٍ كاملٍ أو جزئيٍّ في كلٍّ من مصر وإيران والعراق وسوريا والسعودية والسودان، إضافةً إلى ما يُشبه الاحتلالَ العسكريَّ من خلالِ قواعدَ عسكريّةٍ في الخليجِ العربيِّ والأردنِ.

لا شكَّ أنّ الغايةَ الأساسيّةَ من نموذجِ «الاستقرار» هذا ليست تحقيقَ استقرارٍ وازدهارٍ للإقليمِ، وإنّما غايته إدارةُ الاستقرارِ على وجهٍ يمنعُ التغيّرَ الجغرافيَّ الذي تُجرى صناعتُه ورسمُه، ويحولُ دونَ تغيّرِ الأنظمةِ السياسيّةِ؛ لتمنعَ ظهورَ أيِّ كيانٍ موحّدٍ أو مشروعٍ نهضويٍّ مستقلٍّ في المنطقةِ. لذلك يتمُّ الحفاظُ على توازنٍ قوى بينَ الأعمدةِ الأربعةِ يضمنُ عدمَ تفوّقِ أيِّ طرفٍ على الآخرِ بشكلٍ حاسمٍ، كما يضمنُ تدفّقَ الموارد، وأهمَّ من ذلك يضمنُ عدمَ ظهورِ النموذجِ الإسلاميِّ المتمثّلِ بدولةِ الخلافةِ الإسلاميّةِ؛ حيث إنّ كلَّ واحدةٍ من هذه الدولِ لها أسبابُها الخاصّةُ للحيلولةِ دون ظهورِ دولةِ الخلافةِ الإسلاميّةِ.

إنَّ مشروعَ الهيمنةِ الأمريكيِّ لرسمِ الخريطةِ الجغرافيّةِ – السياسيّةِ للشرقِ الأوسطِ تحتَ هيمنةٍ أمريكيّةٍ مطلقةٍ، قد مضى على الشروعِ في تنفيذِه وهيكلتِه خمسةٌ وسبعونَ عامًا، ولا تزالُ هناك عقباتٌ حتى الآن، لعلَّ أهمَّها عقبةُ الكيانِ اليهوديِّ، الذي يسعى إلى فرضِ جغرافيا خاصّةٍ به تقومُ على التوسّعِ الجغرافيِّ، وتركيبةٍ سكانيّةٍ تؤدّي إلى تهجيرِ ما تبقّى من أهلِ فلسطين إلى دولٍ أخرى، وهيمنةٍ عسكريّةٍ في المنطقةِ تحولُ دونَ امتلاكِ أيِّ دولةٍ في الإقليمِ أسلحةً استراتيجيّةً موازيةً لما يملكه الكيانُ.

ولعلّ ما يجري الآن من ضغوطٍ أمريكيّةٍ كبيرةٍ على دولةِ الكيانِ هو لحملِها على المُضيِّ قُدُمًا في إستراتيجيّةِ أمريكا، من زاويةِ أنّ أمريكا هي الضامنُ للأمنِ المتعلّقِ بحدودِ ووجودِ الكيانِ في المنطقةِ.

وقد برز ذلك من الدعمِ والتأييدِ للكيانِ في أعمالِ التطهيرِ والإبادةِ الجماعيّةِ، والتدخّلِ السريعِ لضربِ المنشآتِ النوويّةِ الإيرانيّةِ لإقناعِ الكيانِ أنَّ الرّدعَ الإستراتيجيَّ يقعُ على عاتقِ الضامنِ الأساسيِّ للاستقرارِ، أي أمريكا. ومع ذلك لا يزالُ الكيانُ - ولأكثرَ من سببٍ - هو العُقدةَ الأخيرةَ في عِقْدِ نظامِ الشرقِ الأوسطِ الجديدِ على الطرازِ الأمريكيِّ.

الصراعُ بينَ أمريكا والمشروعِ الإسلاميِّ على مستقبلِ الشرقِ الأوسطِ:

والسؤالُ الأهمُّ هو: هل يستقرُّ الشرقُ الأوسطُ على الكيفيّةِ التي تريدُها أمريكا؟ وهل

هناك نموذجٌ آخرُ يُنافِسُ نموذجَها بل ويتحدّاه؟

أمّا استقرارُ الشرقِ الأوسطِ على التوليفةِ الأمريكيّةِ فيعتمدُ على ناحيتينِ: إحداهما استمرارُ الاستقرارِ على الصعيدِ الدوليِّ والنظامِ العالميِّ، بحيثُ تبقى أمريكا متربّعةً على عرشِه بشكلٍ متواصلٍ. وهذا أمرٌ لا يمكنُ تصوّرُ استمراريّتِه، خاصّةً ونحن نقرأ في كتابِ الله تعالى:﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١٩٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٩٧﴾ (آل عمران).

والموقفُ الدوليُّ والنظامُ العالميُّ متغيّرانِ، والاستقرارُ فيهما لم يكنْ يومًا إلّا مرحليًّا. ودواعي عدمِ الاستقرارِ المؤدّي إلى الانهيارِ كثيرةٌ؛ أهمُّها الصراعاتُ السياسيّةُ والعسكريّةُ التي قد تؤدّي إلى نشوبِ حروبٍ ذاتِ طابعٍ دوليٍّ وإستراتيجيٍّ.

ومثالُ ذلك الحربُ بينَ روسيا وأوكرانيا، التي لا تنفكُّ بعضُ الدولِ الأوروبيّةِ عن السعيِ لإقحامِ حلفِ الناتو فيها. ورغمِ حذرِ أمريكا الشديدِ، والإصرارِ على عدمِ تدخّلِ الناتو فيها، فإنّ الظروفَ العسكريّةَ والسياسيّةَ على المسرحِ الدوليِّ قد تفرضُ توسيعَ دائرةِ الحربِ. ومثلُ هذه الحربِ من شأنِها التأثيرُ على الاستقرارِ العالميِّ من جهةٍ، ومن جهةٍ أخرى أنْ تُوليَ أمريكا جُلَّ اهتمامِها للموقفِ الدوليِّ بدلًا من السيطرةِ على الأقاليمِ.

وقُلْ مثلَ ذلك في الأزماتِ المتكرّرةِ بينَ الهندِ وباكستان، التي ما تنفكُّ تتحوّلُ إلى معاركَ عسكريّةٍ، ولا تزالُ أمريكا تتدخّلُ باستمرارٍ للحيلولةِ دون تطوّرِ النزاعِ العسكريِّ إلى حربٍ تُستعمَلُ فيها أسلحةٌ إستراتيجيّةٌ، حينها يكونُ النظامُ الدوليُّ مُهدَّدًا بالانهيارِ. وكذلك مسألةُ الصينِ وتايوان، التي قد تتطوّرُ إلى أعمالٍ عسكريّةٍ تفرضُ تحوّلَ النزاعِ إلى نزاعٍ دوليٍّ، خاصّةً أنّ الصين تمتلكُ أسلحةً إستراتيجيّةً نوعيّةً، في حين أنّ تايوان لا تملكُ إلّا حلفَها مع أمريكا. وهكذا فإنَّ استقرارَ إقليمِ الشرقِ الأوسطِ على النهجِ الأمريكيِّ مرتبطٌ بشكلٍ حتميٍّ بالاستقرارِ على المستوى الدوليِّ، الذي بدورِه يقفُ على شفيرٍ من نارٍ، وقد ينفجرُ في أيِّ وقتٍ.

ثمّ إنّ النظامُ السياسيُّ الدوليُّ بات - أكثرَ من أيِّ وقتٍ مضى - مرتبطًا بشكلٍ جذريٍّ بالنظامِ الاقتصاديِّ والماليِّ العالميَّيْنِ. وقد شهدْنا خلالَ الانهيارِ الماليِّ في الفترةِ ٢٠٠٨-٢٠١٠ كيفَ أنَّ القبضةَ الأمريكيّةَ على مختلفِ القطاعاتِ السياسيّةِ العالميّةِ قد ضعُفَتْ إلى درجةِ أنّ «الربيعَ العربيَّ» كاد يعصفُ بالأنظمةِ التي بنتْها أمريكا خلالَ عقودٍ طويلةٍ. فلولا أنّ انتفاضةَ الشعبِ في الدولِ العربيّةِ لم تكنْ تملكُ رؤيةً سياسيّةً واضحةً وفكرةً مبدئيّةً، لأصبحَ الشرقُ الأوسطُ مستقلًا عن الهيمنةِ الأمريكيّةِ، وقادرًا على بناءِ شرقِ أوسطَ جديدٍ برؤيةٍ مبدئيّةٍ على أساسِ الإسلامِ.

والظروفُ الماليّةُ والاقتصاديّةُ اليوم أقلُّ ما تكونُ استقرارًا وثباتًا؛ سواءٌ من حيثُ سياسةُ أمريكا العدائيّةُ فيما يتعلّقُ برفعِ الرسومِ الجمركيّةِ أو فرضِ العقوباتِ على تجارةِ بعضِ الدولِ - خاصّةً تلك المتعلّقةِ بروسيا والصينِ - ومن ثمَّ نشوءُ منظماتٍ دوليّةٍ تسعى لإيجادِ الاستقلالِ الاقتصاديِّ بعيدًا من الهيمنةِ الأمريكيّةِ، مثل «بريكس».

كلُّ هذه الإرهاصاتِ تُهدّدُ دومًا بانهيارِ النظامِ الاقتصاديِّ برمّتِه، مصحوبًا بانهيارٍ ماليٍّ؛ حيث إنّ الإجراءاتِ الاقتصاديّةَ التي تعتمدُها أمريكا خاصّةً تؤدّي إلى زيادةِ التضخّمِ الماليِّ بشكلٍ كبيرٍ، بسببِ ضخِّ كمٍّ هائلٍ من النقد – خاصّةَ الدولار – دون أن يُرافِقَه نموٌّ اقتصاديٌّ مُماثِلٌ.

أضِفْ إلى ذلك التوسّعَ الهائلَ في إصدارِ النقدِ المُشفَّرِ واستخدامه، هروبًا من هيمنةِ الدولارِ على الأسواقِ الماليّةِ. ففي الوقتِ الذي تصبحُ فيه كميّةُ المالِ المشفّرِ – بمختلفِ أنواعِه – تُضاهي كميّة النقد «الدولاريِّ» الطبيعيِّ أو تزيدُ عنه، سيكونُ العالمُ الماليُّ برمّتِه على صفيحِ بركانٍ هائلٍ يذهبُ بالأخضرِ واليابسِ حينَ انفجارِه.

فسوقُ العملاتِ المشفّرةِ – بالرغمِ ممّا يُشاعُ عن أمانِه – قد يتبخّرُ بينَ عشيةٍ وضحاها من خلالِ هجماتٍ إلكترونيّةٍ سيبرانيّةٍ. وما يساعدُ على ذلك ويُسرِّعُ أوانَه – آنيًّا أو مرحليًّا – التقدّمُ الهائلُ في بُنيةِ الذكاءِ الاصطناعيِّ الذي يختزلُ الزمنَ اللازمَ للاختراقِ إلى دقائقَ معدودةٍ بدلًا من أيّامٍ وشهورٍ.

هذه الأوضاعُ الماليّةُ والاقتصاديّةُ، والأزماتُ السياسيّةُ، والحروبُ الإقليميّةُ ذاتُ الأثرِ الدوليِّ، جميعُها تشيرُ إلى أنَّ استقرارَ الدولةِ الأولى في العالمِ على الوضعِ الذي يسمحُ لها باستكمالِ مشروعٍ مضى عليه خمسةٌ وسبعونَ عامًا ليس إلّا وَهْمًا؛ حيث إنّ الدولَ في المنطقةِ ظلّت رهينةَ المصالحِ الخارجيّةِ، ولا تمتلكُ قرارَها الإستراتيجيَّ المستقلَّ، وبدلًا من معالجةِ أسبابِ الصراعِ تجري إدارتُه كأوراقِ ضغطٍ بين القوى الإقليميّةِ والضامنينَ الخارجيّينَ. إضافةً إلى أنّ العدالةَ قد غابت من حيث هي قيمةٌ عليا، وحلَّ محلَّها منطقُ المصالحِ البراغماتيّةِ، ما أدّى إلى تآكلِ الثقةِ في النُّظمِ السياسيّةِ القائمةِ، وهو ما يخلقُ ظروفًا مواتيةً لتغيُّرٍ إستراتيجيٍّ من رَحِمِ المنطقةِ نفسِها.

وإذا دقّقْنا في هذه الأمورِ، خاصّةً الأثرَ الذي أحدثتْه هيمنةُ أمريكا في البلدانِ التي خضعتْ لها – بشكلٍ مباشرٍ أو غيرِ مباشرٍ – نجد أنَّ هذه الهيمنةَ بعينِها تُشكِّلُ وقودًا قويًّا لاستفزازِ ما لدى شعوبِ المنطقةِ من بدائلَ منهجيّةٍ.

فأينما حلّت هيمنةُ أمريكا حلَّ معها الفقرُ والعَوَزُ والجوعُ. وهذه الظروفُ من أقوى الظروفِ الدافعةِ إلى الانفجارِ والتحدّي.

ثمّ إنَّ هيمنةَ أمريكا على الأقاليمِ المختلفةِ يُصاحِبُها دومًا سَخَطٌ من شعوبِ المنطقةِ على حُكّامِها الذين لا يتحرّكون إلّا بأمرٍ أو تصريحٍ من أمريكا؛ كما حصل في مؤتمرِ القمّةِ العربيِّ الإسلاميِّ في الدوحة في شهرِ أيلولَ الماضي بعد الغارةِ التي أقدمَ عليها كيانُ يهود في الدوحةِ عاصمةِ قطر. وأضِفْ إلى ذلك انكشافَ التصوّرِ الإسلاميِّ المُزَيَّفِ الذي كانتْ تتستّرُ وراءَه بعضُ الدولِ في المنطقةِ لإبقاءِ عقيدةِ المسلمين بعيدةً من الصراعِ المحلّيِّ أو العالميِّ. فلم يبقَ للتصوّراتِ التي صوّرتِ الإسلامَ على أنّه محصورٌ في المساجدِ للتسبيحِ بحمدِ الحُكّامِ وأنظمتِهم سلطانٌ على عقولِ المسلمين ونفسيّاتِهم.

من هنا فإنَّ هيمنةَ أمريكا - التي لا تزالُ تسعى للهيمنةِ على الشرقِ الأوسطِ في الوقتِ الذي ترى أنّها بتلك الهيمنةِ تحولُ دونَ عودةِ

نظامٍ يُنافِسُها- بما جرّتْه على المنطقةِ من ويلاتٍ ودمارٍ وفقرٍ وجوعٍ ونهبٍ للثرواتِ تعيدُ جذوةَ الصراعِ الحقيقيِّ الذي يعملُ على استئصالِها من المنطقةِ بل ويُلاحقُها على المستوى الدوليِّ.

وممّا يزيدُ الأمرَ صعوبةً في وجهِ أمريكا أثناءَ سعيِها لبسطِ الهيمنةِ الكاملةِ وتحقيقِ الاستقرارِ على الوجهِ الذي تريدُه، أنّ الأدواتِ التي كان من الممكنِ استعمالُها لصرفِ شعوبِ المنطقةِ عن نهضةٍ حقيقيّةٍ وسيادةٍ كاملةٍ قد استُنفِدَتْ جميعُها.

فالقوميّةُ الواسعةُ (كالعربيّةِ والتركيّةِ والفارسيّةِ...)، والقبليّةُ المحدودةُ (كالسعوديّةِ والهاشميّةِ والصباحيّةِ...)، والدولةُ الجغرافيّةُ (كالأردنِ وسوريا ومصر والعراق...)، كلُّها قد استُنفِدَتْ وتمّ تجريبُها وبانَ عَوَرُها، ولم تبقَ قادرةً على تحريكِ الشعوبِ مرّةً أُخرى في اتّجاهِها، بل أصبحتْ محلَّ سُخريةٍ وهدفًا للانتقامِ.

وكذلك الأفكارُ الجزئيّةُ كالحرّيّةِ والسيادةِ، انكشفَ عَوَرُها وكذبُها ودَجَلُ أسيادِها وأتباعِها، فباتت لا تُحرِّكُ شعرةً في جلودِ أبناءِ المنطقةِ. وكذلك «الثورةُ للتغييرِ» دونَ هدفٍ واضحٍ لم تَعُدْ مُحرِّكًا في شعوبِ المنطقةِ.

وجاءتْ ثالثةُ الأثافي: حربُ غزّةَ، التي كشفتْ كلَّ مستورٍ، وفضحتْ كلَّ خائنٍ، وأظهرتْ أنَّ الأمّةَ لا تستطيعُ أن تُطعِمَ جائعًا، أو تُنقذَ مريضًا، أو تحميَ شيخًا أو امرأةً، أو تُوقِفَ مذبحةً جماعيّةً، ما لم يكن أمرُها بيدِها، موكولًا إلى مَن يؤمنُ بعقيدتِها، ويحملُ آلامَها وشجونَها، ويُعزِّزُ أفراحَها، ويَداوي جُرحَها. وليس هذا متوفِّرًا في أيٍّ ممّن يملكونَ أمرَها اليومَ.

فأصبحتْ بذلك المنطقةُ تتدافعُ بينَ تيّارَيْنِ اثنَيْنِ: أحدُهما تدفعُ به أمريكا بما تملكُ من خِداعٍ ووَهْمٍ وعنجهيةٍ وصَلَفٍ واستكبارٍ وجبروتٍ، والثاني تدفعُ به عقيدةٌ كامنةٌ في الأمّةِ لم تَمُتْ يومًا، وإنْ كانت جذوتُها قد خَمَدَتْ لعقودٍ طويلةٍ، وتطلُّعٌ إلى السيادةِ التي سُلِبَتْ منها في غافلٍ من الزمانِ لتستردَّها وتَرُدَّها إلى مَن يحملُها على الوجهِ الذي يُحقِّقُ لها السعادةَ في الدارين، وتَصبو مرّةً أُخرى إلى تَسَنُّمِ موقعِ القيادةِ في الإقليمِ ثمّ في العالمِ أجمعَ بوصفِها «خيرَ أمّةٍ أُخرِجتْ للناسِ»، وبوصفِها الأمّةَ التي تسلَّمَتِ الرسالةَ التي أنزلَها اللهُ على رُسُلِه، والميزانَ الذي يُميِّزُ بينَ الحقِّ والباطلِ، وبينَ الخيرِ والشرِّ، وبينَ الطيِّبِ والخبيثِ؛ كما ورد في كتابِ الله في سورةِ الحديدِ: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢٥﴾ (الحديد: ٢٥).

المشروعُ الإسلاميُّ مقابلَ الهيمنةِ الأمريكيّةِ:

والحقيقةُ الناصعةُ أنَّ التيّارَ المتحرِّكَ نحوَ إعادةِ بناءِ دولةِ الخلافةِ الإسلاميّةِ - بوصفِها طريقةً لتطبيقِ نظامِ الإسلامِ الذي جاء به محمّدٌ ﷺ خاتمًا لجميعِ الرسالاتِ التي سبقَتْهُ، ومن ثمَّ تقديمِه نموذجًا للبشرِ كافّةً في مختلفِ أنحاءِ العالمِ - هو نموذجٌ فريدٌ يمثّلُ جوهرَ السيادةِ والوحدةِ، من خلالِ عدّةِ ركائزَ أهمُّها:

أنْ تكونَ السيادةُ للشرعِ؛ أي لأمر الله تعالى الذي لا يأتيهِ الباطلُ من بينِ يدَيْهِ ولا من خلفِه، ولا يُنازِعُه أيُّ شكلٍ من أشكالِ الهوى الذي سيطرَ على كلِّ أنواعِ السيادةِ التي مُورِسَتْ على البشرِ. ويكفي النظرُ إلى تكدّسِ الأموالِ بنسبةٍ تزيدُ على ٩٠٪ بأيدي قلّةٍ قليلةٍ لا تتجاوزُ ٠,٥٪ من سكّانِ المعمورةِ. هذا المبدأُ يضعُ القانونَ الإلهيَّ فوقَ كلِّ سلطةٍ بشريّةٍ، ويَحمي الدولةَ من التحوّلِ إلى دكتاتوريّةٍ فرديّةٍ أو طبقيّةٍ، ويضمنُ أنَّ الحاكمَ مُقيّدٌ بأمرِ اللهِ، وليس مطلَقَ اليدِ.

والركيزةُ الثانيةُ هي تلك التي تتحقّقُ بها وحدةُ الأمّةِ التي يبلغُ تعدادُها حوالي ٢٥٪ من سكّانِ العالمِ؛ فحينَ تُجمعُ الأقطارِ الإسلاميّةِ الممزّقةِ في كيانٍ واحدٍ مستقلٍّ، لا يعتمدُ على أيِّ قوى خارجيّةٍ، ولا يحملُ أيَّ تبعيّةٍ للقوى الخارجيّةِ في قراراتِه الأمنيّةِ والاقتصاديّةِ والسياسيّةِ، حينها يصبحُ بمقدورِ هذه الأمّةِ أن تنقلَ ما لديها من الخيرِ والعدلِ إلى غيرِها من البشرِ.

هذا التيارُ أصبح لا يخفى على أحدٍ؛ فأمريكا صاحبةُ المشروعِ القديمِ الجديدِ في الشرقِ الأوسطِ تُدرِكُ هذا التيارَ وتدرِكُ مدى قوّتِه، وبالتالي تعملُ على إحباطِه بشتى الوسائلِ. فقد اخترعتْ ما سمّتْه «حربًا على الإرهابِ»، وأوجدتْ - هي نفسُها - حركاتٍ ومنظّماتٍ تندرجُ تحتَ صفةِ «الإرهابِ» الذي اخترعته لينصرفَ الناسُ عن مشروعِ الإسلامِ الحضاريِّ، وقد بانَ عَوَرُ هذا المشروعِ وانكشفَ كيدُه.

وعملتْ أمريكا - ومن قبلِها ومعها بريطانيا وفرنسا ودولٌ أوروبيّةٌ أخرى - على حظرِ أيِّ عملٍ أو نشاطٍ لِمَنْ يدعو إلى إعادةِ صرحِ الإسلامِ الحضاريِّ، وفرضوا على عملائِهم في المنطقةِ أنْ يحاربوا كلَّ نَفَسٍ يدعو لإعادةِ بناءِ هذا الصرحِ.

ومع ذلك فقد استمرَّ تيّارُ الإسلامِ بالحركةِ، ولا يزالُ يزدادُ قوّةً إلى أنْ يتمكّنَ من إزالةِ كلِّ ما يقفُ أمامَه من عقباتٍ.

ولا تزالُ أمريكا وأدواتُ الاستعمارِ السابقِ تعملُ على صَرْفِ أنظارِ المسلمين في المنطقةِ عن عَوَرِ وفسادِ أنظمتِهم هم، من خلالِ إنشاءِ مؤسّساتٍ ماليّةٍ وخيريّةٍ واجتماعيّةٍ تُقدِّمُ «حلولًا شرعيّةً» إلى جانبِ نماذجِ الظلمِ والكفرِ والاستبدادِ، لتعملَ البنوكُ الربويّةُ - التي تُحاربُ اللهَ ورسولَه - جنبًا إلى جنبٍ مع بنوكٍ «إسلاميّةٍ»، ولتُقدِّمَ مدرسةٌ أو جامعةٌ مكانًا لمن يريدُ أو تريدُ أنْ تتجنّبَ السُّفورَ، إلى جانبِ مدرسةٍ أو جامعةٍ تنشرُ الفُسوقَ والفجورَ.

وهكذا يستمرُّ عملُهم لتفريغِ الطاقةِ الإسلاميّةِ من محتواها.

ومع ذلك فلا يزالُ تيّارُ الإسلامِ يعلو ثمّ يعلو؛ لجعلِ السيادةِ المطلقةِ لشرعِ اللهِ، وأنّ الباطلَ لا يُجاوِرُ الحقَّ، وأنّ العدلَ لا يكونُ في نفسِ ساحةِ الظلمِ، وأنّ الحكمَ كلَّه للهِ وليس لأحدٍ من البشرِ، ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾(يوسف).

وهكذا فإنَّ منطقةَ الشرقِ الأوسطِ لا تزالُ ساحةً ساخنةً لمشروعَيْنِ كبيرَيْنِ من حيثُ الحجمُ والتأثيرُ، ومن حيثُ الأثر الكبير الذي ينتجُ عنهما: فتيّارُ أمريكا يُنذِرُ بشرٍّ مستعرٍ، وقهرٍ مستمرٍّ، ونهبٍ لثرواتِ المنطقةِ لا يُبقِي

ولا يَذَرُ، وهو محكومٌ – لا محالةَ – بفشلٍ ذريعٍ في قادمِ الأيّامِ، لا ضيرَ أنْ يتقدّمَ أو يتأخّرَ، واللهُ غالبٌ على أمرِه سواء أرضيَ البشرُ أم سَخِطوا.

وأمّا تيّارُ الإسلامِ الواعدُ، الذي يحملُ فوقَه رايةَ الحقِّ، رايةَ الإسلامِ، رايةَ العقابِ، رايةَ رسولِ اللهِ ﷺ، فإنّه – لا محالةَ – مُنتصِرٌ، ما دام يرفعُ لواءَه شبابٌ مُبصِرون لطريقتِه، مدفوعون بعقيدتِهم، حريصون على أمّتِهم، حاملون أرواحَهم على أكُفِّهم، ماضينَ لإرضاءِ ربِّهم.

فوالذي خلقَ السماواتِ والأرضَ إنّه لَلحقُّ المبينُ، ولا رادَّ لأمرِ اللهِ. فالسعيدُ مَنْ يمضي لإعلاءِ كلمةِ اللهِ؛ ليكونَ من جندِها؛ فإنّ اللهَ بالغٌ أمرَه، ولو ملكتْ أمريكا ما ملكتْ من قوّةٍ وجبروتٍ، فهي ليستْ بأشدَّ من فرعونَ وهامانَ، ولا أقوى من عادٍ وثمودَ.

فكما قال اللهُ تعالى في سورةِ القصصِ عن فرعونَ: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٤ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥﴾ (القصص: ٤–٥).

الفرصةُ التاريخيّةُ الثانيةُ:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ (النور: ٥٥). إنَّ لحظتَنا التاريخيّةَ الراهنةَ هي لحظةُ تحوّلٍ جيوسياسيٍّ وأخلاقيٍّ، ينهارُ فيها النظامُ القديمُ ولمّا يولَدِ النظامُ الجديدُ.

فالعواملُ مجتمعةً – بدءًا من إرهاقِ النظامِ، مرورًا بالأزماتِ الاقتصاديّةِ، وصولًا إلى تراجُعِ الثقةِ بالنظامِ الدوليِّ الغربيِّ الذي فقدَ مصداقيّتَه الأخلاقيّةَ والحضاريّةَ – تُساعِدُ على خَلْقِ «الفرصةِ التاريخيّةِ الثانيةِ للأمّةِ».

وتكمُنُ أهميّةُ المشروعِ الإسلاميِّ للأمّةِ في أنّه يمثّلُ انتقالًا من حالةِ الرَّدِّ على الهيمنةِ إلى مرحلةِ تقديمِ البديلِ لها.

لقد ظلَّ الفكرُ الإسلاميُّ لعقودٍ منشغلًا بالرَّدِّ على الغربِ والدفاعِ عن نفسِه في ساحةٍ ليستْ ساحتَه، ومُقيَّدًا بالتعريفاتِ الغربيّةِ للمشكلاتِ. أمّا اليومَ فالموقفُ معكوسٌ: الغربُ هو مَن يُعاني من أزمةِ المصداقيّةِ والقِيَمِ، والأمّةُ مدعوّةٌ لتقديمِ الحلِّ.

وهذه الرؤيةُ تتجاوزُ حدودَ الجغرافيا الإسلاميّةِ لتُقدِّمَ تصوّرًا جديدًا لمستقبلِ الإنسانيّةِ؛ فالإسلامُ – في جوهرِه – ليس مشروعَ أمّةٍ على حسابِ أُخرى، بل هو رسالةُ تحريرٍ عالميّةٌ تُنقِذُ الإنسانَ من عبوديّةِ الإنسانِ. في هذا الإطارِ تُصبِحُ الخلافةُ مشروعًا إنسانيًّا بامتيازٍ؛ لأنّها تنقلُ مركزيةَ العالمِ من «النفعية» (التي تحكمُ النموذجَ الأمريكيَّ) إلى «القِيَمِ» (التي تحكمُ نموذجَ الأمّةِ الإسلاميّةِ)، ومن الصراعِ إلى التعاونِ. إنّها تهدفُ إلى خلقِ نظامٍ دوليٍّ جديدٍ تكونُ فيه القوّةُ خادمةً للعدلِ، لا أداةً للهيمنةِ.

ومُلخَّصُ هذه الرؤيةِ في عبارةٍ:

«العالمُ اليومَ لا يحتاجُ إلى دولةٍ أقوى، بل إلى فكرةٍ أعدلَ».

فإذا أفلحْنا في تأسيسِ الفكرةِ العادلةِ

القائمةِ على العدلِ الإلهيِّ المطلقِ الذي لا يأتيهِ الهوى والباطلُ من بينِ يدَيْهِ ولا من خلفِه، فإنَّ الدولةَ القويّةَ التي تخدمُها ستنشأُ حتمًا.

واليومَ، وأمامَ طغيانِ أمريكا وعنجهيّتها وظلمِها وفسادِها وإفسادِها، تقفُ ثُلّةٌ من المستضعفينَ الذين يخافونَ أنْ يتخطّفَهم الناسُ من الأرضِ، عاملينَ على بناءِ صرحِ الإسلامِ العظيمِ مع قلّةِ حيلتِهم، حاملينَ نورَ الإسلامِ في أعينِهم وقلوبِهم، رافعينَ رايةَ الخلافةِ الإسلاميّةِ على منهاجِ النبوّةِ، رغمَ كثرةِ الحاقدينَ الذين يريدونَ أن يطفِئوا نورَ اللهِ بأفواهِهم.

ولكن هؤلاءِ الثُّلّةَ يعلمونَ علمَ اليقينِ أنّ اللهَ مُتِمٌّ نورَه ولو كَرِهَ الكافرونَ والظالمونَ من أمريكا إلى بريطانيا وفرنسا وروسيا، ومن بعدِهم إلى عملائِهم في الشرقِ والغربِ.

إنَّ اللحظةَ التاريخيّةَ – مع انهيارِ الهيمنةِ الأمريكيّةِ واهتزازِ النموذجِ الليبراليِّ – تمنحُ الأمّةَ الفرصةَ لتقديمِ البديلِ الحضاريِّ المتكاملِ. هذا التحوّلُ ليس مجرّدَ تغييرٍ في الأنظمةِ، بل هو صراعٌ حتميٌّ بينَ نموذجَيْنِ حضاريَّيْنِ، وسيُحدِّدُ مصيرَ المنطقةِ والعالمِ على ضوءِ نتيجةِ هذا الصراعِ.

وإنَّ مسؤوليّتي، ومسؤوليّةَ كلِّ مَن يُدرِكُ جوهرَ هذه الأزمةِ، هي العملُ على تحويل هذا المشروعِ إلى واقعٍ سياسيٍّ يُحقِّقُ للإنسانِ كرامتَه وحريتَه في ظلِّ العدلِ الإلهيِّ.

ولمَنْ طال بهم الطريقُ، وظنّوا أنّ اللهَ لن ينصرَهم، وقلَّتْ لديهم الحيلةُ، أُذكِّرُ بأنَّ أمريكا – التي تُسمَّى «الدولةَ العظمى» والتي تملكُ من القوّةِ ما إنَّ إحصاءَه ينوءُ بأولي العلمِ من البشرِ – لا تزالُ تدفعُ بتيّارِها الغاشمِ منذ خمسةٍ وسبعينَ عامًا، ولَمْ تَصِلْ بعدُ إلى نهايتِه لتُتَوّج به هامَتَها متحدِّيةً به أمرَ اللهِ.

وفي نفسِ الوقتِ، فإنّ مشروعَ إعادةِ بناءِ دولةِ الخلافةِ الراشدةِ على منهاجِ النبوّةِ بدأ – بعدَ مشروعِ أمريكا حقيقةً بثلاثِ سنينَ – بجهدِ عالمٍ فردٍ، ثمَّ بكتلةٍ صغيرةٍ ضعيفةٍ، ليس لها حافظٌ ولا قوّةٌ إلّا بإيمانِها وصدقِها، وواجهتْ في سيرِها كلَّ أنواعِ الظلمِ والتعذيبِ والسجونِ والقتلِ، ولم يكنْ لها ناصرٌ من غربٍ ولا شرقٍ، من قريبٍ ولا بعيدٍ، إلّا اللهُ وحدَه. فصبرَتْ ومضتْ واشتدَّ عودُها وانتشرتْ في بلادِ المسلمينَ كافّةً، وامتدّتْ لتصلَ إلى المسلمينَ في بلادِ الغربِ، ونَمَتْ واشتدَّ عودُها حتى في زمنِ أقسى الدولِ ظلمًا وحقدًا على الإسلامِ، الاتّحادِ السوفياتيِّ السابقِ.

ولم يَبْقَ أمامَها إلّا خطوةٌ واحدةٌ لتحقيقِ أمرِ اللهِ.

فلو لم يكنْ إلّا صمودُ هذه الدّعوةِ واستمرارها إلى يومِنا هذا لكفى اطمئنانًا إلى أنَّ اللهَ غالبٌ على أمرِه، ولكنَّ أكثرَ الناسِ لا يعلَمونَ.

وأدعو اللهَ ألّا يتأخّر ذلك اليومُ الذي نتذكّرُ فيه قولَ اللهِ تعالى موجّهًا إلى مَنْ سبقونا من المهاجرينَ والأنصارِ، ثمّ ليشملَنا حين يقومُ صرحُ الإسلامِ مرّةً ثانيةً: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٢٦﴾.■

من العجز المانع إلى القدرة الـمسقطة للعذر: الاستطاعة وأثرها في وجوب إعلان قيام الدولة الإسلامية وتطبيق الشريعة
الحلقة الرابعة: هل سيناريو الحرب ضد الدولة الإسلامية حتمي؟ أم إنه خطأ استراتيجي فاحش؟

الأستاذ ثائر سلامة

أظهرت الدراسات الاستراتيجية الحديثة، كما ورد في تحليلات مثل *Bombing to Win* لروبرت بايب، أن حملات القصف الجوية بمفردها لا تكسر إرادة الدولة المُستهدَفة بل تعزز مقاومتها وغالبًا ما تولد تضامنًا داخليًا ضد الضارب. وكذلك فإن قوام الرؤى التحليلية المتجددة تشير إلى أن القصف الجوي الاستراتيجي وحده لا يمثّل ثورة في فن الحرب، كما أظهرت دراسات في الولايات المتحدة أنّ الاعتماد عليه لم يحقّق الانقلاب الميداني المنشود في خمس صراعات كبرى بعد الحرب العالمية الثانية Air University.

أما في سياق الردع النووي، فإن مبدأ **الدمار المتبادل المؤكّد (MAD)** يثبت أن استخدام السلاح النووي أولًا يؤدي إلى دمار شامل للطرفين، ما جعل هذا الخيار شبه مستحيل عمليًا، ومع تبلور نظرية **مفارقة الاستقرار-اللااستقرار**، فإن تواجد الترسانات النووية المتكافئة بين الدول يخفض احتمال الحرب الشاملة، ولقد كثر تداول الحديث عن «الحرب النووية المحدودة»، ولكن الاستراتيجيين يحذّرون من المبالغة في الاعتماد عليها؛ فإن لها مخاطر تسرّب إشعاعات إلى مناطق واسعة، وقد تؤدي إلى تصعيد لا يمكن السيطرة عليه، أو أن يكون ذريعة مستقبلية تعطيها الدولة التي استبقت بالضرب لباقي الدول النووية في العالم لتستعمله ضدها مستقبلا إذا تغيرت الظروف، وكمثال عملي، لم تتحرّك روسيا لضرب المدن الأوكرانية بالسلاح النووي، رغم امتلاكها القدرة المادية، ورغم احتمالية أن يدفع الخصم للاستسلام، إدراكًا منها بعواقب الانتقام الدولي، أما في حالة احتمال ضرب الدولة الإسلامية الناشئة، أو ضرب حاضرة من حواضر العالم الإسلامي فإن تبعاته الهائلة يترتب عليها أنه سيثير نقمة الأمة فتتعرض مصالح الدولة التي تقصف لخطر شديد، والموازنة العسكرية والاستراتيجية تقتضي أن لا تقدم على مثل هذه المقامرة، فليس الأمر نزوة، بل حساب استراتيجي عميق.

أولًا - الولايات المتحدة وقدرتها على خوض حرب شاملة في الشرق الأوسط:

التجربة الأمريكية في العقدين الماضيين تقدم صورة شديدة الوضوح عن كلفة الحروب البرية الممتدة. فحربا العراق وأفغانستان، اللتان كان يفترض بهما أن تكونا حروبًا سريعة الحسم، تحوّلتا إلى أطول نزاعين خارجيين في تاريخ الولايات المتحدة. تقديرات مشروع «تكاليف الحرب»(Brown University) «تضع الكلفة الإجمالية لحروب ما بعد ١١ سبتمبر بنحو **٨ تريليونات دولار** حتى ٢٠٢٣ (تشمل العراق وأفغانستان وفوائد الديون والرعاية للمحاربين)، (وفق CRS)؛ وهي أرقام

تُعادل جزءًا ضخمًا من الناتج الأميركي وتُغذّي الدَّين العامَّ الأمريكي عبر الفوائد المستقبلية، فهو نزيف مالي مستمر.

نزف الاستعداد القتالي (Readiness): أثناء الذروة، كانت التكاليف الشهرية للدفاع **نحو ١٢,١ مليار دولار** (٢٠٠٨) مع فاتورة «إعادة ضبط المعدات/Reset» للجيش تبلغ **١٦ مليارًا سنويًا** لسنوات حتى بعد الانسحاب، ما يعني استنزافًا مباشرًا للمخزونات والأطقم والمركبات وقدرة التدريب. شهادات قيادات الجيش في ٢٠٠٦–٢٠٠٨ وصفت الضغط بأنه «يتجاوز قدرة التوليد المستدامة للقوات»، مع آثار سلبية على جاهزية الألوية القتالية والقوة المتطوعة.

القراءة العملية: عند الذروة، شكّلت نفقات العمليات الطارئة (OCO) ما يوازي ١-٢٪ **من الناتج المحلي سنويًا** لبضع سنوات. هذا المستوى من الإنفاق يقترن عادةً بتراجعٍ قابلٍ للقياس في الجاهزية المعدّاتية والبشرية، وتأخيرات في التحديث، و»فجوات» لوجستية تمتد **لسنوات** بعد توقف القتال بسبب كلفة الإحلال وإعادة البناء. (بيانات CRS/وشهادات نائب رئيس الأركان تعضد هذا الاستنتاج) هذه الحروب لم تُضعف فقط الاقتصاد الأمريكي، بل أرهقت القوات المسلحة نفسها؛ إذ سُجلت معدلات عالية من الإصابات النفسية والبدنية بين الجنود، وارتفعت معدلات الانتحار في صفوف العسكريين العائدين. اليوم، وبعد انخراط واشنطن في دعم أوكرانيا بالسلاح والذخيرة في مواجهة روسيا، وتوريد كميات ضخمة من الذخائر الموجهة والصواريخ الاعتراضية للكيان الصهيوني في حرب غزة، تراجعت مخزونات الجيش الأمريكي إلى أدنى مستوياتها منذ نهاية الحرب الباردة. تقارير البنتاغون نفسها تشير إلى أن إعادة ملء هذه المخزونات - خاصة في منظومات مثل صواريخ *Javelin* و*Stinger* وذخائر المدفعية ١٥٥ ملم - ستحتاج ما بين ٣ إلى ٥ سنوات من الإنتاج المستمر قبل العودة لمستويات آمنة لأي حرب واسعة.

لماذا ستكون حرب ثالثة اليوم أشدّ كلفة على الجاهزية؟

١) **مخزونات الذخائر وسلاسل التوريد: عنق زجاجة حقيقي**

- الولايات المتحدة زوّدت أوكرانيا **أكثر من ٣ ملايين قذيفة ١٥٥ ملم**، وتسابق الزمن لرفع الإنتاج إلى **١٠٠ ألف قذيفة/شهر**... لكن الواقع حتى صيف ٢٠٢٥ يُظهر تباطؤًا عند **٤٠ ألف/شهر** وتأجيل بلوغ ١٠٠ ألف إلى **ربيع ٢٠٢٦**، مع اختناقات في المتفجرات (TNT) وسعات التعبئة والتجميع. أي حرب جديدة ستصطدم بهذه السقوف فورًا.
- تحليلات صناعية تُظهر أن تعويض ذخائر "ذكية" بعينها (مثل **Excalibur ١٥٥mm**) قد يستغرق ٤-٧ **سنوات** بحسب معدلات الإنتاج السابقة/المعزّزة- وهذا قبل فتح جبهة كبرى جديدة.
- وزارة الجيش فتحت خطوطًا جديدة (Mesquite-TX) وتضخ مليارات، لكن **الطفرة الصناعية** ما تزال رهينة عقود طويلة الأمد،

وسلاسل توريد عالمية هشّة؛ بمعنى أن القدرة على «توليد الذخيرة» لن تلحق بسرعة وتيرة الاستهلاك في حرب كبيرة متعددة الجبهات.

٢) **الاستهلاك العملياتي والتكاليف اللاحقة**

- تجارب العراق/أفغانستان أظهرت أن كلفة «إعادة الضبط» للجيش وحده بلغت **١٦ مليارًا سنويًا** لعدة سنوات بعد القتال. في بيئة اليوم- بعد أوكرانيا وغزة- ستكون فاتورة «الإحلال + التوسع» أعلى بسبب تضخم الأسعار، قيود الطاقة الإنتاجية، والحاجة لتجديد أنظمة باهظة (باتريوت/ PAC-٣، ذخائر دقيقة، إلخ).

تقدير أثَر «حرب ثالثة كبيرة» على القدرة الأميركية (سيناريو تحليلي محافظ)

الافتراض: حملة مستمرة لـ ١٢–١٨ شهرًا تشمل طلعات جوية كثيفة، حماية قواعد/أساطيل، استهلاك نيراني بري–بحري–جوي، وحاجة لتعزيز مسارح أخرى (شرق أوروبا، المحيطين)، والأهم: الحاجة للإبقاء على قوة قادرة لمواجهة أي أخطار عالمية غير متوقعة مع جاهزية تامة للقتال:

- **على مخزونات الذخائر:** بالنظر إلى معدلات الإطلاق الحديثة في أوكرانيا ومعوقات الإنتاج الأميركية، فإن حربًا ثالثة ستفرض **عجزًا دوريًا** بين الاستهلاك والإنتاج في عتاد رئيس (١٥٥ ملم، دفاع جوي صاروخي، ذخائر دقيقة)، ما يهبط بالجاهزية المخزونية الأميركية الفعلية في بعض الأصناف الحساسة إلى **نطاق عجز مزدوج الرقم (١٥-٣٠٪)** خلال الأشهر الأولى إذا لم تُفرض قيود صارمة على معدلات الرمي/الطلعات أو يُحوَّل جزء أكبر من إنتاج الحلفاء للسدّ. (النطاق مبني على فجوة ٤٠k إنتاج/شهر مقابل احتياجات عملياتية قد تتجاوز ذلك بكثير، وعلى تقديرات CSIS/ CRS لأزمنة الإحلال).
- **على الاستعداد القتالي للوحدات:** استنزاف الذخيرة والمعدات + دورات انتشار أسرع يعني هبوطًا ملموسًا في «جاهزية القتال الكامل» لبعض الألوية وأنظمة الدعم، مع تراكم «أعمال الصيانة المؤجلة Backlogs» تمامًا كما حدث سابقًا (والذي استتبع **سنوات** من الصيانة والإحلال بعد العراق/أفغانستان). تقدير حذر: **هبوط من خانة العشرات في مؤشرات الجاهزية** لبعض تشكيلات المناوبة الأولى خلال السنة الأولى، يعود تدريجيًا بعد التمويل والتصنيع-لكن ليس قبل ٣-٥ **سنوات** من نهاية العمليات.
- **على الاقتصاد/المالية العامة:** عند المقارنة التاريخية، بلغ إنفاق OCO في ذروته مستوى يعادل ١-٢٪ من **الناتج سنويًا** لعدة سنوات. حرب ثالثة على هذا النطاق - وفوق التزامات أوكرانيا/غزّة/تايوان-مرشحة لإضافة **تريليون إلى تريليوني دولار** خلال ٣–٥ سنوات (تكاليف مباشرة + إعادة الإحلال + فوائد الاقتراض)، ما يرفع عبء الفوائد ويزاحم التحديث طويل الأمد. (هذا الإسقاط يُعاير بتجارب العراق/أفغانستان وكلفة الفوائد التي وثّقها مشروع "تكاليف الحرب").

الخلاصة العملية

• **نعم،** تاريخ العراق/أفغانستان يُثبت أن الحروب البرّية الممتدة تُنـهِك الجاهزية وتفرض **سنوات** من إعادة البناء، واليوم القيود الصناعية على الذخائر (١٥٥ ملم تحديدًا) تجعل أي حرب ثالثة تُترجم سريعًا إلى **فجوة قدرات ملموسة** قبل أن تَلحق المصانعُ بالإيقاع. **الأثر المتوقع** على القدرة القتالية ليس رقمًا واحدًا بسيطًا، لكنه في المدى القريب يعني **عجزًا ملحوظًا في ذخائر رئيسة** وهبوطًا في جاهزية بعض التشكيلات بنسبة ذات شأن، ومع كلفة مالية تُقاس بالتريليونات، وكل ذلك بينما تحاول واشنطن إبقاء رصيد ردع كافٍ أمام روسيا والصين! إن قرار خوض الحرب ولا شك خطير استراتيجيا على أمريكا!

تُظهر الخبرات الأمريكية في العراق وأفغانستان، التي كلّفت الخزانة ما يزيد على ثمانية تريليونات دولار وأرهقت البنية العسكرية لعقدين، أن أي انخراط جديد في حربٍ كبرى وطويلة الأمد في العالم الإسلامي سيكون استنزافًا مركبًا: اقتصاديًا، عبر تعميق العجز ورفع كلفة الاقتراض؛ ولوجستيًا، عبر الضغط على مخزونات الذخائر والصواريخ الدقيقة التي تعاني أصلًا نقصًا حادًا بعد دعم أوكرانيا والكيان الصهيوني؛ وصناعيًا، عبر كشف محدودية القاعدة الإنتاجية الدفاعية التي تحتاج لسنوات لتعويض النقص. هذه الاعتبارات، التي وثّقتها تقارير مراكز بحث كـ CSIS وRAND ودوائر حكومية أمريكية، تجعل خيار الحرب البرية الممتدة اليوم مقامرة إستراتيجية تُقَلِّص هامش المناورة أمام منافسي واشنطن الكبار وتُضعف الردع في آسيا وأوروبا. ومع تحوّل عقيدة الدفاع القومية من مبدأ «خوض حربين متزامنتين» إلى التركيز على منافسة الصين وروسيا، يصبح القرار السياسي أكثر تعقيدًا: إذ سيجد صانع القرار نفسه أمام رأي عام مُنهك من الحروب الخارجية، وكونغرس متردد في تمويل مغامرة جديدة، ومؤسسة عسكرية تُحذّر من المخاطر على الجاهزية العالمية إذا ما تمّ استنزاف القوة في ساحة الشرق الأوسط.

من الناحية السياسية، المزاج الداخلي الأمريكي بعد أفغانستان والعراق لم يعد متقبلًا لفكرة «حرب كبرى» خارجية، خاصة في ظل اقتصاد يواجه تحديات التضخم، والدين العام الذي تجاوز ٣٤ تريليون دولار، وحاجة الإدارة إلى توجيه الموارد لإعادة بناء البنية التحتية الداخلية ومواجهة التنافس مع الصين في المحيطين الهندي والهادئ. هذا يعني أن أي إدارة تفكر في شن حرب شاملة في الشرق الأوسط ستواجه عقبتين: نقص الاستعداد العسكري واللوجستي، وغياب الغطاء الشعبي والكونغرس لمثل هذا الخيار. وبناءً على هذا، يصبح أي تدخل أمريكي محتمل أقرب إلى الضربات المحدودة أو العمل عبر الوكلاء، لا الانخراط البري المباشر الذي أثبتت التجربة أنه استنزاف استراتيجي باهظ الثمن، ومثل هذه الخيارات لا تستطيع الإجهاض على دولة إذا ما قامت الدولة الإسلامية باستعمال ما لديها من مواطن قوة سنشير إليها لاحقا إن شاء الله كرد على ذلك.

قائمة بأهم مراجع البحث حول **أثر حربٍ ثالثة كبرى في الشرق الأوسط على قدرة الجيش الأميركي**، وهي تجمع بين المصادر الأكاديمية، وتقارير مراكز الدراسات، والإحصاءات الحكومية:

١. **دراسات أكاديمية ومشروعات بحثية كبرى**

- **Brown University – Costs of War Project,** *Watson Institute for International & Public Affairs*

تقديرات شاملة لتكاليف الحروب بعد ١١ سبتمبر (العراق، أفغانستان، باكستان، سوريا)، بما في ذلك النفقات المباشرة، الرعاية للمحاربين القدامى، وفوائد الديون المستقبلية. https://watson.brown.edu/costsofwar

- **Congressional Research Service (CRS)** – *The Cost of Iraq, Afghanistan, and Other Global War on Terror Operations Since* ١١/٩

تقارير دورية تشرح النفقات السنوية، أثرها على الموازنة، وجداول OCO (Overseas Contingency Operations).

٢. **مراكز الدراسات الإستراتيجية**

- **CSIS (Center for Strategic and International Studies)**

تقارير عن أثر استنزاف الذخائر في أوكرانيا وغزّة على القدرة الأميركية، خاصة في ذخائر ١٥٥ ملم والأنظمة الدقيقة. https://www.csis.org

- **IISS (International Institute for Strategic Studies) – The Military Balance**

بيانات سنوية عن حجم القوات، المخزونات، وتقديرات الجاهزية العسكرية للدول الكبرى. https://www.iiss.org

- **RAND Corporation** – *Sustaining Army Readiness* & *Rebuilding Military Readiness after Major Conflicts*

تحليلات لوجستية ومالية حول كيفية تراجع الجاهزية أثناء الحروب الممتدة وسبل التعافي. https://www.rand.org

٣) **وثائق حكومية وشهادات أمام الكونغرس**

- **U.S. Department of Defense – Budget Justification Books**

أقسام OCO/Global War on Terrorism، بما في ذلك تكاليف العمليات وكلفة إعادة الإحلال (Reset). https://comptroller.defense.gov

- **Testimony of U.S. Army Vice Chief of Staff (٢٠٠٦–٢٠٠٨)**

أمام لجان القوات المسلحة في الكونغرس، حول أثر العراق وأفغانستان على الجاهزية ومخزونات الجيش.

٤) **تقارير صحفية تحليلية موثوقة**

- **Defense News**، **Breaking War on the Rocks**، و

مقالات تحليلية عن الطاقة الإنتاجية الأميركية، برامج زيادة إنتاج الذخائر، وتأثير دعم أوكرانيا على المخزون الإستراتيجي.

- **Reuters / Associated Press**

Special Reports

تحقيقات حول خطوط إنتاج الذخائر في أميركا والجدول الزمني للوصول إلى أهداف الإنتاج (١٥٥mm, HIMARS, PAC-٣).

٥) إحصاءات تاريخية ومقاربات اقتصادية

- **U.S. Bureau of Economic Analysis (BEA) & Congressional Budget Office (CBO)**

بيانات الناتج المحلي، نسب الإنفاق العسكري إلى الناتج، وأثر ذلك على الدين العام.

ثانيًا – قدرة الكيان الصهيوني على خوض حرب شاملة ضد سوريا:

منذ اندلاع معركة السابع من أكتوبر، انخرط الكيان الصهيوني في أطول وأعنف مواجهة عسكرية منذ ١٩٤٨، ما أدخل جيشه في حالة استنزاف شامل على المستويات البشرية والمادية والمعنوية. العملية البرية في غزة كلفت الجيش آلاف القتلى وعشرات آلاف الجرحى، مع فقدان أعداد غير مسبوقة من المدرعات، بما في ذلك دبابات *Merkava IV* المتطورة. أما سلاح الجو، فقد نفذ معدلًا قياسيًا من الطلعات الجوية واستهلك جزءًا كبيرًا من العمر الافتراضي لأسطوله، خاصة مقاتلات *F*-١٦ و*F*-٣٥، وهو ما يتطلب صيانة وإصلاحات مكلفة وزمنًا طويلًا لإعادة الجاهزية الكاملة.

إلى جانب الخسائر العسكرية المباشرة، أحدثت الحرب اختلالًا في سوق العمل والاقتصاد، إذ تعطلت قطاعات مثل التكنولوجيا الفائقة والسياحة، وتراجعت الاستثمارات الأجنبية بشكل حاد، وارتفع العجز في الموازنة إلى مستويات تهدد الاستقرار الاقتصادي. داخليًا، كشفت الحرب عمق الانقسام السياسي والمجتمعي، وأعادت إلى السطح أزمات ثقة بين القيادة العسكرية والسياسية، خاصة بعد إخفاقات السابع من أكتوبر الاستخبارية والعملياتية.

في حال الدخول في حرب شاملة مع سوريا، فإن الكيان سيواجه خطر فتح جبهات متعددة في الشمال والجنوب، مع عدم قدرته على حسم الحرب في غزة، وإظهار أي صورة للنصر فيها، إضافة إلى تهديدات من العمق عبر الصواريخ الدقيقة والطائرات المسيرة. هذا النوع من الحروب يتطلب قدرة على التعبئة السريعة وطاقة اقتصادية لدعم العمليات الممتدة، وهما عنصران يعاني الكيان من تراجع واضح فيهما حاليًا. والأهم، أن طول أمد الحرب قد يسرّع من الانهيار الداخلي بفعل الضغط الشعبي والخسائر المستمرة، وهو سيناريو تحذر منه مراكز الأبحاث في الكيان الصهيوني نفسه، باعتباره تهديدًا وجوديًا وليس مجرد تحدٍ أمني.

في التقديرات العسكرية المعاصرة، لا يُنظر إلى احتمالات المواجهة على أنها قرارات فورية، بل كعوامل مؤثرة في صياغة العقيدة الدفاعية والهجومية لأي طرف. وفي الحالة الراهنة، يُدرك صانع القرار الصهيوني أن القيادة السورية الحالية تميل إلى تجنب المواجهة المباشرة، وتسعى إلى تحسين موقعها وصورتها في الساحة الدولية، وهو

ما يخفف من احتمالات اندلاع حرب واسعة في المدى القريب، لذلك فإنه يقوم بالقصف الجوي والتوغل البري آمنا من العقوبة. غير أن أي تحول في المشهد السياسي - كقيام دولة إسلامية تعتبر المواجهة خياراً شرعياً - سيغيّر معادلات الردع، ويفرض على المؤسسة الأمنية الصهيونية إدخال سيناريوهات أكثر تعقيداً في حساباتها الاستراتيجية.

على سبيل المثال، تقارير **IISS Military Balance** وإن لم تقدّم أرقاماً ميدانية دقيقة، تشير إلى أن سوريا ما زال لديها مئات الدبابات القابلة للزجّ (من طرازات T-٧٢ وT-٦٢ وT-٥٥ بتحديثات متفاوتة)، ورغم محدودية تكافئها مع دبابات «ميركافا» الإسرائيلية الحديثة، فإن خسائر الكيان الكبيرة في حرب غزة - بما في ذلك تدمير مئات الآليات واضطراره لإعادة تشغيل دبابات أخرجت من الخدمة منذ ٢٠١٤ - إضافة إلى تعاقده مع ألمانيا لتزويده بمحركات لـ١٥٠ دبابة ميركافا-٤، تكشف عن قدرة برية تحتاج إلى إعادة البناء ولا تتحمل استنزافاً طويل المدى.

كذلك، فإن التطوير الذي طرأ على ترسانة المسيّرات السورية منذ ٢٠١٨، بدعم إيراني وروسي، يعكس تحوّلاً في موازين الردع. تقديرات بعض مراكز الدراسات الغربية تضع هذه الترسانة اليوم في نطاق مئات المسيّرات بمختلف الفئات، من بينها عشرات الانتحارية بعيدة المدى القادرة نظرياً على بلوغ عمق الأراضي المحتلة، والباقي للاستطلاع والهجمات القريبة. حتى لو كان هذا المخزون محدوداً، فهو كفيل بفرض تحديات معقدة على منظومات الدفاع الجوي والراداري الإسرائيلية التي أنهكتها حرب العامين.

أما على صعيد القوى البشرية، فإن وجود قوة مقاتلة تُقدَّر بنحو مليون عنصر مدرّب ومعبأ عقائدياً – اكتسبت خبرات ميدانية طويلة من الحرب السورية – يفتح المجال لسيناريوهات برية تُدرَج حتماً في التقديرات الإسرائيلية. من هذه السيناريوهات: هجمات متعددة المحاور عبر الجولان ومزارع شبعا أو نقاط تماس سورية–لبنانية، مدعومة بإشباع نيراني وصاروخي، وضربات مسيّرات لتعطيل الرصد المبكر، أو عمليات محدودة تستفيد من ظروف مناخية تقلل فاعلية الاستطلاع الجوي. عوامل النجاح هنا لا تتوقف على العدة والعدد فحسب، بل على عنصر المفاجأة، والخداع العملياتي، والقدرة على تشتيت الجهد الإسرائيلي بين جبهات متعددة، مع قيادة مرنة قادرة على إدارة عمليات واسعة في بيئة قتالية معقدة.

في المحصلة، تمثل هذه السيناريوهات إطاراً تقديرياً يفرض نفسه على أي تخطيط عسكري صهيوني إذا تغيّر السياق السياسي السوري، خاصة في ظل الإرهاق البشري واللوجستي الذي يعيشه جيش الكيان الصهيوني بعد حرب غزة، وحساسيته الشديدة تجاه فتح جبهات برية واسعة في الشمال.

غير أنّ ما سبق إنما هو في إطار موازين القوى المادية المحسوبة بالأرقام والجداول، أمّا ما ستكشفه هذه الدراسة الاستثنائية

فهو عرضٌ معمّقٌ لقدراتٍ استراتيجيةٍ هائلة تملكها الدولة الإسلامية، قدراتٍ كفيلة بأن تجعل الأعداء يعيدون حساباتهم ألف مرة، ويضاعفون رهبتهم من الإقدام على حرب معها أضعافاً مضاعفة، إذ يرون أمامهم مزيجاً من الركائز الصلبة التي تستند قوة الدولة الإسلامية إليها، ما يحوّل فكرة المواجهة إلى مغامرة محفوفة بالمخاطر المصيرية.

وبناء على ما سبق، فإنه لَيَتَجلّى لكل ذي بصيرة أن الحكم الشرعي بوجود الاستطاعة – الذي تُبنى عليه أعظم القرارات، من إعلان الدولة الإسلامية إلى إقامة شرع الله – لا يُستمد من حسابٍ عاجلٍ لموازين القوة المادية وحدها، ولا من نظرة الفرد المعزول إلى ذاته، قارنا قدرات الدولة واستطاعتها بنظرته تلك، بل من رؤية استراتيجية واسعة، تحيط بعناصر القوة الحاضرة، وتستكشف سبل تعظيمها بتحريك الأمة واستنهاض جماهيرها، وتعبئة طاقاتها الكامنة، وإحكام إدارة مواردها، مع تقدير احتمالات الصدام ومآلاته. فالأمة حين توحِّد صفوفها وتبسط سلطانها، وتستثمر ما حباها الله من مكامن منعة وقدرات رادعة، وتستعين بربها، وتحسن التوكل عليه، تصبح قادرة على فرض معادلة الردع، وكسر إرادة المعتدين، وتثبيت أركان الدولة على أساسٍ من القوة والعزة والتمكين.

ثالثا: الحرب المتوقعة ليست نزهة تستغرق ساعات للحسم!

هذا، وقد استمرت الثورة السورية في حسم الصراع على الأرض في مواجهة إيران وحلفائها منذ ٢٠١١ حتى الثلاثين من سبتمبر ٢٠١٥، وقد غير التدخل الروسي ميزان القوى جوًّا، لكنه **لم يُنتِج حسمًا سريعًا**؛ بل دخلت البلاد في **حرب استنزافٍ طويلةٍ متعدّدة الجبهات** احتاجت إلى سنوات من القصف المكثّف، والاقتحامات الأرضية بقيادة قوات النظام وميليشياتٍ إيرانية وعراقية و»حزب الله»، وإسنادٍ استخباري ولوجستي واسع - من دون قدرةٍ على إنهاء الثورة/المعارضة بضربةٍ خاطفة، **طبيعة الصراع المركّبة** (جبهات متعدّدة، بيئة حضرية كثيفة، تداخل جهات دولية وإقليمية) جعلت **الكلفة الزمنية والبشرية والمادية مرتفعة**، وأبقت جيوبًا واسعة من المعارضة قائمةً لسنوات اعتمادًا على قدراتٍ محلية وشبكات إمدادٍ محدودة، رغم الحملات المتكرّرة. تقارير ICG وCFR توثّق طول أمد الصراع وتعقيده واستمراره كحربٍ دولية بالوكالة. crisisgroup. Council on Foreign Relations org

رغم **الغطاء الجوي الروسي الكثيف (آلاف الطلعات)**، ظلت عمليات الحسم تتطلّب **حصارًا طويلًا واتفاقات إخلاء قسرية ومعارك كرٍّ وفرٍّ** (حلب ٢٠١٦، الغوطة ودرعا ٢٠١٨، ثم إدلب). تُظهر دراسات RAND وCNA كثافة الطلعات واتساع الاعتماد على الذخائر غير الموجّهة، ما زاد الحاجة إلى تكرار الضربات على مدى أشهر، بل سنوات. rand.orgcna.org

كثافة جوية روسية... بلا حسمٍ سريع:

- **طلعات جوية بالألوف:** يقدّر تقرير CNA أنّ القوة الروسية نفّذت حوالَي **٦,٥٠٠ طلعة خلال ٦٠ يومًا** فقط (٢٤ كانون الأول/

ديسمبر ٢٠١٥-٢٢ شباط/فبراير ٢٠١٦)، بمتوسط **١٠٧ طلعات/يوم**، مع استمرار معدلاتٍ مرتفعة لاحقًا (مثل **٧٠ طلعة/يوم** على حلب في آب/أغسطس ٢٠١٦)، ما يوضح **طول أمد العمليات** اللازمة لإخضاع جبهةٍ حضرية واحدة. cna.orgrand.org

- **حجم القوة:** تقديرات عسكرية تُظهر أن الانتشار الروسي بقي غالبًا في حدود ٣٠-٥٠ **طائرة مقاتلة و ١٦-٤٠ مروحية؛** وهو يكفي لتغيير ميزان القوة موضعيًا، **لكن ليس لحسمٍ آنيّ على مستوى البلاد،** ما يفسّر اعتماد موسكو على حملاتٍ متعاقبة وحصارٍ واتفاقات إخلاء. armyupress.army.mil

بنية أرضية مُسنَدة بإيران وميليشياتٍ عابرة للحدود... ومع ذلك طال القتال

- **قوات إيرانية وميليشيات أجنبية:** قدّرت CSIS وجود **نحو ٢٥٠٠ عنصر إيراني** على الأرض (حرس ثوري وقوات نظامية)، وتنظيم ٨٠٠٠-١٢٠٠٠مقاتل شيعي أجنبي (أفغان، عراقيون، وغيرهم) عبر فيلق القدس وشبكات الإسناد. كما لعب «حزب الله» دور قوة اقتحامٍ رئيسية. **هذا الحجم النوعي** لم ينتج حسمًا خاطفًا، بل **حملاتٍ مطوّلة.** CSIS
- **ميليشيات عراقية حليفة لإيران** (مثل «حركة النجباء») قاتلت في سوريا ضمن «محور المقاومة»، ما يعكس **تدويل المسرح** ويؤكد أن إسقاط مناطق المعارضة تطلب **تراكم قواتٍ عبر-حدودية.** dni. govwashingtoninstitute.org
- **خسائر الحلفاء:** وثّق SOHR مقتل ١١٣٩ -١٧٣٦ من مقاتلي «حزب الله» حتى ٢٠٢٣ - أرقام تعكس **شدّة وطول** القتال رغم الغطاء الجوي الروسي. كما أشارت تقارير صحفية إلى **سقوط قادة إيرانيين** بارزين. The New Yorker Wikipedia

استنزافٌ متبادل وخسائر رمزية لروسيا تُظهر عناد الساحة

- أُسقِطت طائرة **Su-٢٤** روسية على يد تركيا (نوفمبر ٢٠١٥)، و**Su-٢٥** فوق إدلب (فبراير ٢٠١٨)، كما أُسقِطت طائرة الاستطلاع **Il-٢٠** بنيران دفاعٍ سوري (سبتمبر ٢٠١٨)، حوادث **غير حاسمة عسكريًا** لكنها تُظهر **خطر البيئة العملياتية واستعصاء الحسم السريع.** The Aviationist TIME

أثرٌ إنساني هائل دون إنهاء الصراع فورًا

- **نزوحٌ واسع النطاق:** أكثر من **١٤ مليون سوري** اضطروا للنزوح منذ ٢٠١١، مع بقاء **٧,٤+ مليون نازح داخلي** حتى ٢٠٢٥-دلالة على **طول الحرب وتعدد موجات العمليات** بدل «حربٍ خاطفة». unrefugees. org

دلالات عملياتية لصالح حجّة «لا حرب خاطفة ضد دولةٍ ناشئةٍ ذات ثقل شعبي».

١. القوة الجوية وحدها لا تحسم بسرعة في بيئةٍ حضرية كثيفة ومجزّأة الجبهات؛ فحتى مع آلاف الطلعات الروسية، **تطلّب كل جيبٍ معارض أشهرًا/سنواتٍ من الحصار والاقتحام** - ما يعني أن **قصفًا جويًا محدودًا لن يُسقط كيانًا راسخًا.** cna.orgrand.org

٢. الحسم استلزم حضورًا بريًا كثيفًا

من ميليشياتٍ منظّمة بإسنادٍ إيراني، ومع ذلك ظلّت **جيوبٌ واسعة صامدة** (ثم مناطق بالشمال تحت حمايةٍ تركية لاحقًا)، ما يثبت أن **التعبئة الشعبية والخبرة القتالية المتراكمة** تجعل الإخضاع السريع **مستبعدًا**. CSIScrisisgroup.org

٣. **طول أمد الاستنزاف رفع الكُلفة على المتدخّلين** (خسائر بشرية رمزية لروسيا، قتلى كبار لإيران/حزب الله) دون أن يترجم ذلك إلى **نصرٍ خاطفٍ حاسم**، بل إلى **مراحل متتابعة** من التقدم والاتفاقات والانتكاسات. Wikipedia The Aviationist

٤. **المحصلة الاستراتيجية:** إذا كان منع ثورةٍ مُسلّحة من تثبيت وجودها احتاج إلى **تحالفٍ جوّي/بري متعدد الدول والميليشيات عبر سنوات**، فإن **حربًا خاطفة ضد دولةٍ ناشئة ذات التفافٍ مجتمعي وخبرةٍ قتالية** ستكون **أصعب وأطول كلفةً**، ولن تُحسَم بقصفٍ محدود أو إنزالٍ سريع، فإذا ما وضعنا بالاعتبار الفرق الشاسع الهائل بين ثورة قوامها تنظيمات مسلحة، وبين دولة لها جيش، وتدعمها التنظيمات المسلحة نفسها، فإن هذا يجعل مغامرة الحرب ضدها أصعب وأصعب، وهذا الوقت كفيل بأن يمنح الدولة الإسلامية الناشئة القدرة على التمدد والانتشار وتفعيل الخطط اللازمة لإفشال مخططات إفشالها.

الخلاصة للحجّة المقارنة: المشهد السوري يُبرهن عمليًا أن **التدخل الخارجي الكبير لا يُنتِج «نزهة حرب»**؛ فحتى مع **قوة جوية روسية مستمرة**، و**قوات اقتحامٍ برية** من إيران وميليشياتٍ عراقية و«حزب الله»، ومع **مظلة استخبارية دولية**، استغرق إخضاع الجيوب المعارضة **سنواتٍ من الاستنزاف**، ولم يتحقق **حسمٌ سريع**. عليه، **أي حربٍ خاطفة ضد دولةٍ ناشئة تحظى بتماسكٍ اجتماعي وخبرةٍ قتالية** مرشحة - وفق التجربة السورية - لأن تتحوّل إلى **نزاعٍ طويلٍ عالي الكلفة وغير مضمون النتائج**، لا إلى **قصفٍ محدود** يطيح بالمشروع خلال أيام، فلا أمريكا بوضعها الحالي، وإنهاكها في حربي أفغانستان والعراق، واستنزافها في حربي غزة وأكرانيا، ولا روسيا، خصوصا بعد إنهاكها في حرب أكرانيا، ولا الكيان الصهيوني، خصوصا بعد إنهاكه في حرب غزة بقادر على أن يخوض غمرات مثل هذه الحرب كما أثبتنا سابقا بالتحليل الدقيق وبالأرقام.

أهم المراجع المعتمدة في هذا الملخص: تقارير RAND وCNA عن الحملة الجوية الروسية؛ تحليلات International Crisis Group وCFR عن طبيعة الصراع الممتد؛ تقديرات CSIS حول حجم القوات الإيرانية والميليشيات الأجنبية؛ توثيق SOHR/SNHR للضحايا؛ وبيانات أممية حول النزوح والكارثة الإنسانية. crisisgroup. cna.org rand.org CSIS Council on Foreign Relations org unrefugees.org snhr.org

خلاصة موجزة لرأي جوزيف ناي: القوة الصلبة مقابل القوة الناعمة في زمن صعوبة الحسم:

- **يعرّف جوزيف ناي القوة الناعمة بأنها «القدرة على الحصول على ما تريد**

عبر الجاذبية بدل الإكراه أو الرشا (العصي والجزرات)»، ومصادرها جاذبية الثقافة والقيم ومشروعية السياسة الداخلية والخارجية؛ فحين تبدو السياسة مشروعة تتسع القوة الناعمة ويقلّ الاعتماد على الإكراه.

• في المقابل، القوة الصلبة تقوم على الإكراه بالمقدرات العسكرية والاقتصادية (العصي/الجزرات). ناي يرى أن المزج الذكي بين النوعين (القوة الذكية) هو الأنسب لإدارة المصالح في عالم تتراجع فيه فعالية الحسم العسكري السريع.

لماذا يتقدّم غير العسكري على المباشر في الصراعات الحديثة؟

• دروس أفغانستان والعراق أوضحت أن الحروب المباشرة مُكلفة وطويلة وغير حاسمة سياسيًا، ما دفع صناع القرار في الغرب إلى إعادة الاعتبار للقوة الناعمة وأدوات التأثير غير المباشر بعد ٢٠٠٤.

• الكلفة «غير القتالية» للحروب، من التزامات قانونية وأخلاقية (قانون دولي إنساني، مساءلة رأي عام)، وموجات لجوء عابرة للحدود، ترفع ثمن التدخل المباشر وتخلق دوافع قوية لتجنبه.

كيف يظهر ذلك عمليًا؟ أمثلة مختصرة

• الجزائر (التسعينيات): بعد إلغاء المسار الانتخابي، عملت القوى الغربية بالتآمر مع الجيش على إدخال البلاد حربًا أهلية دامية، اتجهت القوى الخارجية إلى الرهان على ديناميات داخلية أكثر من التدخل العسكري المباشر، نموذج لِتفضيل أدوات غير مباشرة في بيئة خصبة للإشعال، والأصل فينا معاشر المسلمين أن لا نكون دائما في موقع المفعول به، فنقول بأننا إذا أعلنا قيام دولة فسيشعلون بيننا حربا أهلية، خصوصا مع تقدم الوعي في الأمة بعد أن عركتها قرون ثلاثة منذ نموذج الجزائر.

• العراق (التسعينيات): فُرض حصار اقتصادي قاسٍ وانتهى ببرنامج «النفط مقابل الغذاء» (١٩٩٦)، وانتُقد على نطاق واسع بسبب تبعاته الإنسانية، أداة قسرية اقتصادية تُصنّف ضمن القوة الصلبة غير العسكرية، ترافقها سرديات ناعمة لتبريرها دوليًا.

• سوريا/أوروبا ٢٠١٥: تجنّب الغرب إرسال جيوش برية واسعة، مع اعتماد عقوبات، ودعم عبر الوسطاء، وإدارة تبعات لجوء جماعي، مزيج من أدوات صلبة غير مباشرة (اقتصادية/أمنية) وناعمة (بناء الشرعية والرواية).

الخلاصة التطبيقية: عند تعذّر الحسم السريع وارتفاع كلفة الاحتلال أو التدخل المباشر، ينتقل ميزان القرار-وفق ناي- من الإكراه العسكري إلى حزمة أدوات مركّبة: قسر اقتصادي وضغوط دبلوماسية (صلبة غير عسكرية) + جاذبية/شرعية/سردية (ناعمة) = قوة ذكية تُحقّق أهداف السياسة بكلفة أدنى ووقت أطول، دون خوض حرب خاطفة مكلفة سياسيًا وأخلاقيًا.

إذن، فمن الأرجح أن لا تلجأ الدول إلى خيار الحرب ضد الدولة الإسلامية الناشئة، بل اللجوء إلى خيار الحصار الاقتصادي.[يتبع]

خطرُ الرُّكونِ إلى الظَّالمينَ

قال اللهُ تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود: ١١٣].إنّ هذه الآيةَ لَتستوقفُ وتنبّهُ الحسَّ في كلِّ ذي لُبٍّ... وقبل تدبُّرِ هذه الآيةِ الكريمةِ والوقوفِ التدبُّريِّ لا بُدَّ من البحثِ في معاني الرُّكونِ لغةً.

إذا ما بحثنا في معاجمِ اللغةِ العربيةِ نجدُ أنّ الرُّكونَ يعني الميلَ والسكونَ، وقد فهِمَ الزمخشريُّ أنَّ الرُّكونَ هنا معناه «الميلُ اليسيرُ»، وقال القرطبيُّ: «الرُّكونُ حقيقتُه الاستنادُ والاعتمادُ، والسكونُ إلى الشيءِ والرِّضى به»، قال قتادةُ: «معناه لا تَوَدُّوهم ولا تُطيعوهم»، ويقولُ ابنُ جُريجٍ: «لا تَميلوا إليهم». يقولُ أبو العاليةِ: «لا تَرضَوا أعمالَهم»، وكلُّه متقاربٌ. وقال ابنُ زيدٍ: «الرُّكونُ هنا الإدهانُ». وقد فَسَّرَ أئمّةُ اللغةِ «الرُّكونَ» بمطلقِ الميلِ والسكونِ إلى الشيءِ. وذكرَ القرطبيُّ أنَّ حقيقةَ الرُّكونِ في اللغةِ الاستنادُ والاعتمادُ والسكونُ إلى الشيءِ والرِّضى به.

ولعلَّه مأخوذٌ من الرُّكنِ، وهو دعامةُ كلِّ بناءٍ، قال تعالى:﴿أَوْ ءَاوِيَ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠]. وقد استخدمَ القرآنُ الكريمُ لفظَ «الرُّكونِ» وهو مطلقُ الميلِ، ما يُفهَمُ منه من بابِ أَولى المنعُ من موالاةِ أهلِ الظلمِ ومناصرتِهم. فالتعبيرُ بـ«الرُّكونِ» يحملُ دلالةً أبلغَ على المرادِ من هذا النهي، على حدِّ قولِه تعالى:﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠]. فالتعبيرُ بـ«الاجتنابِ» أبلغُ من التعبيرِ بقوله: «لا تَشربوا الخمرَ، ولا تَتَعاطوا الميسرَ»

فالرُّكونُ يشملُ: «الميلَ والسكونَ والاطمئنانَ والاعتمادَ» لأنَّ السكونَ إلى الشيءِ والثباتَ عنده مندرجٌ في معنى القوةِ، واللغةُ تستوعبُ معانيَ متدرِّجةً للرُّكونِ، تبدأُ من الميلِ إلى السُّكونِ، ثمَّ إلى الِاطمِئْنانِ، ثمَّ إلى الِاعْتِمادِ، وبعضُ هذه المعاني يقودُ إلى بعضٍ... ولا يخفى أنّ الظلمَ ليس على درجةٍ واحدةٍ، بل هو أنواعٌ ودرجاتٌ، فإذا علمنا أنّ الظلمَ أنواعٌ ودرجاتٌ فناسب أن يكون النهيُ عن الرُّكونِ إليه في الآيةِ على أنواعٍ ودرجاتٍ، وأن يكون معنى الرُّكونِ يتناولُ ذلك كلَّه ويشملُه، بما اختزنت هذه الكلمةُ من المعاني.

ونقيضُ الرُّكونِ كما ذكرَ الإمامُ الرازيُّ في تفسيرِه هو «النُّفورُ» من الذين ظلموا؛ وعليه فإنَّ معاني الفعلِ «تَركَنوا» لا تخرجُ عن أفعالٍ قلبيّةٍ وأفعالٍ جارحةٍ؛ أمّا القلبيّةُ منها فكانت: بالميلِ والمحبّةِ والرِّضى، وأمّا الجارحةُ فكانت: بالسكونِ، والاشتراكِ بتزيينِ الظلمِ، والمداهنةِ للظالمينَ من زيارةٍ ومصاحبةٍ ومجالسةٍ والحديثِ عنهم بالفضلِ، والاعتمادِ عليهم.

فأدنى مراتبِ الرُّكونِ إلى الظالمِ ألّا تمنعَه من ظلمِ غيرِه، وأعلى مراتبِ الرُّكونِ إلى الظالمِ أن تُزيِّنَ له هذا الظلمَ، وأن تُزيِّنَ للناسِ هذا الظلمَ.

ولا بُدَّ لنا من وقفاتٍ مع هذه الآيةِ الكريمةِ:

قولُه تعالى: ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ هو نهيٌ لم يتكرّرْ في القرآنِ الكريمِ، وتفرّدت به هذه الآيةُ من سورةِ هودٍ التي اشتملت على قصصِ سبعةِ أقوامٍ يجمعُهم وصفُهم بالظلمِ والطغيانِ في أكثرَ من موضعٍ في كتابِ اللهِ تعالى، وقد جاء النهيُ عن الرُّكونِ إلى الذين ظلموا في خواتيمِ سورةِ هودٍ بعدَ استعراضِ مشاهدِ الظلمِ والطغيانِ كافّةً في السورةِ باختلافِ تركيبةِ السلطةِ وهيكليّةِ الاستبدادِ المتعلّقةِ بكلِّ قومٍ.

الرُّكونُ المنهيُّ عنه يشملُ الرِّضى بما عليه الظلمةُ أو تحسينَ الطريقةِ وتزيينَها عند غيرِهم، ومشاركتَهم في شيءٍ ممّا هم عليه من المخالفاتِ والمنهيّاتِ؛ يقولُ الحسنُ البصريُّ في هذه الآيةِ الكريمةِ: «جعلَ اللهُ الدِّينَ بين لاَءَيْن: {وَلَا تَطْغَوْا}، {وَلَا تَرْكَنُوا}». فقد لخَّصَ الحسنُ الدِّينَ كلَّه بأمرين: النهيِ عن الطغيانِ، والنهيِ عن الرُّكونِ إلى الظالمينَ. وفي هذا دلالةٌ على أهميّةِ تجنُّبِ الرُّكونِ إلى أهلِ الظلمِ؛ لما في ذلك من توهينٍ لأمرِ الدِّينِ، وإضعافٍ لشأنِه.

٢- إنَّ الطغيانَ والرُّكونَ إلى الذين ظلموا ضررُه على مستوى المجتمعِ والدولةِ، وليس ضررًا فرديًّا، وتكمنُ شدّةُ خطورةِ الرُّكونِ إلى الذين ظلموا بالذاتِ عندما يُمارَسُ بشكلٍ جماعيٍّ من خنوعٍ عامٍّ في الرعيّةِ للظالمِ، ونلحظُ في الآيةِ أنَّ فعلَ النهيِ عن الطغيانِ - في عمومِه - جاء في صيغةِ الجمعِ، والنهيُ عن الرُّكونِ إلى الذين ظلموا جاء في صيغةِ الجمعِ لا المفردِ، ممّا يدلّ على خطورةِ الرُّكونِ إلى الذين ظلموا، فأينما وُجد الطغيانُ في أيِّ مجتمعٍ وُجدت فئةُ الراكنينَ إلى الذين ظلموا، التي لا يمكنُ أن تتحقّقَ فيها الاستقامةُ الصحيحةُ بهذا الرُّكونِ.

٣- الرُّكونُ في الغالبِ أيسرُ ردّةِ فعلٍ سلبيّةٍ على الظلمِ، سواءٌ بالشعورِ أو بالفعلِ من خلالِ عدمِ الإقدامِ على أيّ فعلٍ يُدلّلُ على النُّفورِ من الذين ظلموا، إلّا أنّ مجرّدَ السكونِ - لا التأييدُ ولا الميلُ - فقط السكونُ إلى الذين ظلموا منهيٌّ عنه، ولهذا جاء التعبيرُ بـ«الذين ظلموا» وليس «الظالمين»، وهذا يعني أنّ النهيَ في الآيةِ المفتتحِ بها يتناولُ الانحطاطَ في هوى الذين ظلموا، والانقطاعَ إليهم، ومصاحبتَهم ومجالستَهم، وزيارتَهم ومداهنتَهم والرِّضا بأعمالِهم، والتشبّهَ بهم، والتزيّيَ بزيِّهم، ومدَّ العينِ إلى زهرتِهم، وذكرَهم بما فيه تعظيمٌ لهم. يقولُ الإمامُ الآلوسيُّ في هذه الآيةِ: «ذهب أكثرُ المفسّرينَ، قالوا: وإذا كان حالُ الميلِ في الجملةِ إلى من وُجدَ منه ظلمٌ ما في الإفضاءِ إلى مَساسِ النّاسِ النّارِ، فما ظنُّك بمن يميلُ

إلى الراسخينَ في الظلمِ كلَّ الميلِ؟!».واللفظُ عامٌّ، يشملُ كلَّ ظالمٍ سواءٌ أكان مؤمنًا أم كافرًا، وقد رجّحَ القرطبيُّ أنَّ المرادَ من الآيةِ أهلُ الظلمِ عموماً، وفي هذا يقولُ ابنُ عبّاسٍ: «إنّه ينطبقُ على العمومِ بلا أيِّ فرقٍ بين مسلمٍ أو غيرِ مسلمٍ، لأنَّ العبرةَ بعمومِ اللفظِ لا بخصوصِ السببِ»، ويقولُ الإمامُ الشوكانيُّ - رحمه الله -: «الظاهرُ من الآيةِ العمومُ، ولو فُرِضَ أنَّ سببَ النزولِ هم المشركونَ، لكان الاعتبارُ بعمومِ اللفظِ لا بخصوصِ السببِ»

٤- رتّبتِ الآيةُ الكريمةُ نتيجتينِ على الرُّكونِ إلى الذين ظلموا:أُولاهما: دنيويّةٌ، وهي عدمُ النصرِ والمعونةِ من اللهِ.ثانيتهما: عذابُ النارِ في الآخرةِ.

وهاتان النتيجتانِ مستفادتانِ من قوله تعالى:﴿فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾، فكأنَّه سبحانه يقولُ لنا: إنكم إن رضيتم بمسلكِ أهلِ الظلمِ، ومشيتم في ركابِهم، وناصرتموهم في باطلِهم، مستكم نارُ جهنّمَ في الآخرةِ، ولم ينصركم اللهُ في الدنيا، بل يُخلِّيكم من نصرته، ويُسلِّط عليكم عدوَّكم، ويَخذلكم. وهذا ما عليه حالُ الأمّةِ اليومَ، فأنتم حين تَركنونَ إلى ظالمٍ إنّما تقعُونَ في عداءٍ مع منهجِ اللهِ؛ فيتخلّى اللهُ عنكم، ولا يَنصركم أحدٌ، لأنَّه لا وليَّ ولا ناصرَ إلّا اللهُ تعالى.

إنَّ جزاءَ مجرّدِ الرُّكونِ إلى الذين ظلموا هو: ﴿فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾، وهنا أنقلُ عبارةَ الإمامِ الشوكانيِّ: «قوله: «فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ» بسببِ الرُّكونِ إليهم، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ الظلمةَ أهلُ النارِ أو كالنارِ، ومصاحبةُ النارِ توجبُ لا محالةَ مَسَّ النارِ..»

وهناك وجهٌ آخرُ لطيفٌ أشارَ إليه الماورديُّ إذ قال: «فيتعدّى إليكم ظلمُهم كما تتعدّى النارُ إلى إحراقِ ما جاورَها، ويكونُ ذكرُ النارِ على هذا الوجهِ استعارةً وتشبيهًا».وفي قوله تعالى:﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ تدليلٌ على عظيمِ تجريمِ فعلِ الرُّكونِ إلى الذين ظلموا، لمنِ اتخذَهم رُكناً يأوي إليه ويرتكنُ عليه ويركنُ في ظلِّه، فلن يكونوا لكم أولياءَ ولا أنصارًا يحولونَ بينكم وبينَ عذابِ اللهِ بعدما رضيتم بهم أولياءَ وأنصارًا في الحياةِ الدنيا، واستغنيتم بهم عن ولايةِ اللهِ سبحانه ونصرته.

٤- آفةُ الدنيا هي الرُّكونُ إلى الظالمينَ؛ لأنَّ الرُّكونَ إليهم إنّما يُشجِّعُهم على التمادي في الظلمِ، والاستشراءِ فيه، والرُّكونُ إلى الظالمينَ ـ وبخاصّةٍ من قبلِ العلماءِ ـ خطرُه كبيرٌ وشرُّه مستطيرٌ، ويبدأ بالدخولِ عليهم في أوّلِ الأمرِ، ثمّ ما يلبثُ كثيرٌ من هؤلاء أن يَستحلُّوا حديثَهم، ويَقبلوا تبريرَهم لأعمالِهم، بل يُخدَعوا بأقوالِهم، ثمّ يترخَّصوا في قبولِ هباتِهم وأعطياتِهم، فتسكتَ ألسنتُهم، ويتحوّلَ

الدخولُ عليهم من دخولٍ للهِ وابتغاءِ مرضاتِه إلى دخولٍ لحظِّ النفسِ ورُكونٍ إليهم، وإلى ما هم فيه من ترفِ الدنيا وظلمِ العبادِ. ولا عاصمَ من ذلك إلّا تقوى اللهِ تعالى، وإخلاصُ العملِ لوجهِه، واستشعارُ هيبتِه وعظمتِه، والوقوفُ بين يديه. وهذا الإمامُ الزُّهريُّ على رفعةِ قدرِه في العلمِ لمّا خالطَ السلاطينَ رأى في مخالطتِه أخاً له ناصحًا خطرًا على دينِه فكتبَ إليه واعظًا ومذكِّرًا:عافانا اللهُ وإيّاك أبا بكرٍ من الفتنِ، فقد أصبحتَ بحالٍ ينبغي لمن عرفك أن يدعوَ لك اللهَ ويرحمَك، أصبحتَ شيخًا كبيرًا وقد أثقلتك نعمُ اللهِ بما فهّمك اللهُ من كتابِه، وعلّمك من سنّةِ نبيِّه، وليس كذلك أخذَ اللهُ الميثاقَ على العلماءِ، قال اللهُ سبحانه:﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، واعلم أنَّ أيسرَ ما ارتكبتَ، وأخفَّ ما احتملتَ: أنّك آنستَ وحشةَ الظالمِ، وسهّلتَ سبيلَ الغيِّ بدنوِّك ممّن لم يؤدِّ حقًّا، ولم يترُكْ باطلًا، حين أدناكَ اتّخذوك قُطبًا، تدورُ عليك رحى باطلِهم، وجسرًا يَعبُرون عليك إلى بلائِهم، وسُلَّمًا يصعدون فيك إلى ضلالِهم، يُدخلون الشكَّ بك على العلماءِ، ويَقتادون بك قلوبَ الجهلاءِ، فما أيسرَ ما عمروا لك في جنبِ ما خرّبوا عليك، وما أكثرَ ما أخذوا منك في جنبِ ما أفسدوا عليك من دينِك، فما يُؤمنُك أن تكونَ ممّن قال اللهُ فيهم:﴿۞فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا۝٥٩﴾ [مريم: ٥٩]، فإنَّك تُعامِلُ من لا يجهلُ، ويَحفظُ عليك من لا يَغفُلُ، فداوِ دينَك، فقد دخله سقمٌ، وهيِّئ زادَك فقد حضرَ السفرُ البعيدُ، وما يخفى على اللهِ من شيءٍ في الأرضِ ولا في السماءِ، والسلام .ويُروى أنّه جاء رجلٌ إلى الإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ وقال: «يا إمامُ أنا أعملُ خيّاطًا عند حكّامٍ ظلمةٍ، فهل ينطبقُ عليَّ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾؟ فقال الإمامُ أحمدُ: «بل أنت من الذين ظلموا، أمّا الذي يبيعُك الخيطَ فهو من الذين ركنوا إلى الذين ظلموا».لو طَبَّقنا معيارَ الإمامِ أحمدَ على من يُدافعُ عن الظالمينَ ويَتستّرُ عليهم ويُسوِّغُ لهم ويُشفِقُ عليهم أو يُؤيِّدُهم في بعضِ ظلمِهم، فمع أيِّ الفريقينَ يكونون؟ خاصةً إذا علمنا تتمّةَ الآيةِ:﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ۝١١٣﴾.فيا أيّها الراكنونَ إلى الظالمينَ، والممالئونَ لهم، والمبرِّرونَ لجرائمِهم! أما تعلمونَ أنكم شركاءُ لهم في إجرامِهم؟! !ويوشكُ أن تكونوا ممّن باعَ دينَه بدنيا غيرِه

أما آنَ لكم أن تُعيدوا النظرَ في موقفِكم من الطواغيتِ والمجرمينَ الظلمةِ بعدَ كلِّ هذه الدماءِ والدمارِ في غزّةَ وغيرها من بلادِ الإسلامِ، وما يَرتكبُ هؤلاء الظالمونَ في الأرضِ من الجرائمِ والإفسادِ؟!.■

الحلقة السادسة والأخيرة

الأستاذ: لقمان حرزالله

الأحلاف والتكتلات

يلزم بحث الأحلاف والتكتلات للسياسي ولراسم السياسات، وذلك باعتبار أن الأحلاف والتكتلات تتيح المجال للطغيان العسكري والاقتصادي، وتوصل العالم إلى حروب واسعة كالحروب العالمية التي كادت أن تفني البشر. وإن الأحلاف والتكتلات هي من الأساليب التي تتخذها الدول حتى تجمع ما عندها من قوة عسكرية أو اقتصادية، فيكون للحلف أو التكتل وزن أعلى من وزن الدولة المنفردة على الساحة الدولية، وعليه فإن أي عضو في الحلف سيحمل وزن الحلف في جانب اختصاص الحلف لا وزن دولته فحسب، وهذا يجعل تأثير الحلف في العلاقات الدولية واضحاً، وبالتالي تأثير الدول المكونة للحلف، وبالتحديد الدول أو الدولة التي ترسم سياسات الحلف وتقوده.

والحلف هو علاقة تعاقدية بين دولتين أو أكثر، تتفق أطرافه على المساعدة في حالة الاعتداء أو الحرب، وحين نطلق كلمة الحلف نذهب باتجاه الحلف العسكري. ودوافع تشكيل الأحلاف متعددة، وإن كان دافع المصلحة يبرز أكثر من غيره، فقد يظهر دافع عقائدي خلف الحلف مثل الحلف المقدس الذي اتفقت من خلاله روسيا وبروسيا والنمسا عام ١٨١٥ على أن تقوم رابطة بين الدول الأوروبية على ما نادى به المسيح، فيكون الموقعون على الحلف مكلفون من الله بالدفاع عن السلام والنظام. وقد يكون حلفا ماديا مصلحيا مثل تحالف الأباطرة الثلاثة في عام ١٨٧٣، حيث أنشأ أباطرة ألمانيا وروسيا والإمبراطورية النمساوية المجرية حلفا للدفاع المشترك في حال تعرض إحدى هذه الإمبراطوريات للحرب، ومثل حلف شمال الأطلسي وهو حلف للدفاع المشترك أنشئ في عام ١٩٤٩ للوقوف في وجه الاتحاد السوفياتي الذي قام بدوره بإنشاء حلف وارسو عام ١٩٥٥.

والتكتل الدولي، هو تعاقد بين مجموعة من الدول على اتخاذ توجهات سياسية أو اقتصادية بشكل مشترك وما يتعلق بها من سياسات. وقد ظهرت في العالم تكتلات سياسية وتكتلات اقتصادية وتكتلات سياسية اقتصادية، فقد انقسم العالم في القرن الماضي إلى كتلتين سياسيتين رئيستين هما الكتلة الشرقية أو المعسكر الشرقي، والكتلة الغربية أو المعسكر الغربي، فاتحدت الكتلة الشرقية حول موقف الاتحاد السوفييتي، واتحدت الكتلة الغربية حول موقف الولايات المتحدة الأمريكية في سبيل الصراع بين الغرب والاتحاد السوفييتي، وكذلك أنشأت كتلة دول عدم الانحياز وكان نواة إنشائها في مؤتمر باندونغ الاندونيسية عام ١٩٥٥، وقام على إنشائها جواهر لال نهرو وجمال عبد الناصر وجوزيف تيتو، وكانت قد أخذت موقف «الحياد الإيجابي»، وكان واضحاً أن هذه الكتلة كانت تصب في صالح الكتلة

الغربية إبان صراعها مع الاتحاد السوفييتي. ومن التكتلات الاقتصادية السياسية المجموعة الاقتصادية الأوروبية التي أنشأت كثمرة لمؤتمر روما عام ١٩٥٧، وكان الهدف منها تحقيق تكامل اقتصادي من خلال إنشاء سوق مشتركة أوروبية واتحاد جمركي بين الدول الست الأعضاء بلجيكا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا الغربية ولوكسمبورغ وهولندا. ومن ثم تم إنشاء الاتحاد الأوروبي عقب اتفاقية ماستريخت عام ١٩٩١، فوحدت عملة الاتحاد الأوروبي مع احتفاظ بعض دوله بعملتها الأساسية، وإنه وأن كان للاتحاد الأوروبي أدوار سياسية إلا أن الأبرز فيه هو الجانب الاقتصادي، حيث أن السياسة النقدية تم توحيدها فيه، ولم يتم توحيد السياسية الضريبية، وبالتالي هو اتحاد سياسي اقتصادي يبرز فيه الجانب الاقتصادي. ومن أهم التكتلات السياسية الاقتصادية مجموعة السبع التي أنشأت عام ١٩٧٣ من قبل الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة وألمانيا وفرنسا وإيطاليا واليابان وكندا، وكان هدف إنشاء المجموعة مناقشة وتنسيق الموقف من القضايا الكبرى في مجالات الأمن والتجارة والاقتصاد والتغير المناخي. ومثال التكتل الاقتصادي مجموعة بريك التي انطلقت بعد مجموعة من الاجتماعات الدبلوماسية التي توجها اجتماع في مدينة ايكاترنبيرج في روسيا عام ٢٠٠٨، وقد تشكلت المجموعة من البرازيل وروسيا والهند والصين، ثم اتسعت المجموعة لتنضم إليها جنوب إفريقيا عام ٢٠١٠، فأصبح اسمها بريكس، حيث طرحت أن إنشاء المجموعة جاء في إطار إيقاف أحادية القطبية (المالية) في العالم واشتغلت على إنشاء هيكل مالي جديد، فأنشات بنك التنمية الجديد ومقره شنغهاي، وتم عمل ترتيبات احتياطي الطوارئ للحماية ضد ضغوط السيولة العالمية، وبدأت دول بريكس مناقشات عام ٢٠١٥ لإنشاء نظام دفع بديل عن نظام سويفت، لضمان الاستقلالية عن الغرب في نظام الدفع.

ويلحق بالأحلاف والتكتلات، المؤتمرات والمنتديات، وقد عرجنا على المؤتمرات الدولية في الأمثلة التي بحثت في موضوع القانون الدولي والموقف الدولي وفي هذا الباب، حيث كانت المؤتمرات الدولية مؤسساً للأحلاف والقانون الدولي ورسم السياسات المشتركة، ومن أبرز المؤتمرات مؤتمر بريتون وودز عام ١٩٤٤ حيث أسس للدولار ليكون العملة الرئيسة في العالم، ومؤتمر ويستفاليا عام ١٦٤٨ الذي أسس لموقف أوروبي ضد الدولة الإسلامية. أما المنتديات فإنها تكون مكاناً لتجمع الزعماء السياسيين والاقتصاديين والمفكرين وذلك لبحث ومناقشة كبرى القضايا في العالم، ومن أبرز المنتديات العالمية المنتدى الاقتصادي العالمي المنعقد سنوياً في منتجع دافوس، ويجمع المنتدى أبرز الرأسماليين في العالم وكبريات الشركات والمفكرين والسياسيين، وتناقش فيه أبرز التوجهات المتعلقة بالقضايا الكبرى في العالم.

والأحلاف والتكتلات خطرة، فهي تدخل العالم في بوتقة الحروب الكبرى، وإن الأحلاف العسكرية هي التي أدخلت العالم في حربين كبريين راح ضحيتهما عشرات الملايين من الناس، فإن بريطانيا التي أشعلت الحربين العالميتين لم يكن بمقدورها خوضهما وحدها، فحلفت الأحلاف لأجل ذلك، فأهلكت الحرث والنسل، وإن راسمي السياسات لا بد لهم من إيجاد رأي عام عالمي ضد فكرة الأحلاف، حتى تمنع الحروب الكبرى التي تهلك البشر، وساعتئذ فلا مشكلة في الحروب الصغرى بين أي دولتين في تحقيق سيادة أي منهما أو تحقيق أية مصلحة، حيث يبقى أثر الحرب الصغرى محدوداً من حيث الخسائر البشرية.

كما إن السياسي لا يصح له أن يغفل عن التكتلات والمنتديات واجتماعاتها، فإنها اجتماعات مهمة يتم من خلالها مناقشة الكثير من القضايا العالمية؛ الاقتصادية والسياسية، ويقوم زعماء دول العالم المؤثرة ليبثوا وجهة نظرهم في تلك القضايا، وهذا يلفت نظر المتتبع إلى ربط الأحداث المتعلقة بقضية معينة مع وجهة نظر الدول المؤثرة حول القضية المعينة، وهذا يجعل المتتبع لا ينجرف مع تفاصيل الأحداث تجاه أفهام جزئية لا علاقة لها بالصورة الكلية.

الوعي السياسي

إنه لا يكفي أن يحذق العامل على النهضة التحليل السياسي، فإن التحليل ليس هدفاً لذاته، وإذا اقْتُصِر عليه فإن العامل على النهضة لا يمكن أن يحقق أهدافه ولا أن يستفيد من فهمه السياسي، فيبقى محللاً سياسياً نظرياً لا أثر له في النهضة. وحتى يستطيع العامل على النهضة أن ينهض بأمته لا بد أن يكون واعياً سياسياً. وليس الوعي السياسي هو نفسه الوعي على الموقف الدولي والوعي على الأحداث، فالوعي السياسي يعني الوعي على رعاية الشؤون، أي هو تدبر الإنسان لرعاية شؤونه، وبالتالي هو النظر إلى العالم من زاوية خاصة.

والرابط بين تدبر الإنسان لرعاية شؤون نفسه والنظر إلى العالم من زاوية خاصة هو أن الإنسان حين يرعى شؤون نفسه لا بد من أن ينظر فيمن له تأثير عليه، ويدرك مدى تأثيرهم عليه، ويدرك أساليبهم في التأثير عليه، والخطر الآتي من أولئك الذين يؤثرون عليه وبالتالي يستطيع أن يتخذ إجراءات ويرسم سياسات يتقي بها الخطر، ويفوت الفرصة على من يطلبون التأثير به، بل يذهب باتجاه التأثير على غيره.

والزاوية الخاصة التي ينظر من خلالها إلى العالم يمكن أن تكون عبارة عن مجموعة من القيم أو القواعد، ويمكن أن تكون مبدأ، فإذا انطلق في نظرته إلى العالم من خلال القومية أو الوطنية كان وعيه على العالم ضيقاً، وإذا انطلق في نظرته للعالم من قيم المساواة الإنسانية أو العيش المشترك كان خيالياً، وأحياناً ينطلق في نظرته من زاوية مبنية على فكرة معينة أو هدف معين، فتكون أعماله

كلها مبنية على الزاوية التي اتخذها. وإذا انطلق في نظرته للعالم من مبدأ كان وعيه السياسي ثابتاً، واضح الغاية، مرتبط الأساليب بالغاية التي يقصدها.

والزاوية الخاصة الذي ينظر من خلالها المسلم للعالم هي زاوية العقيدة الإسلامية. فحين ينظر المسلم إلى الحكام العرب وهم ينسجون العلاقات مع أمريكا على أساس من التبعية، فإنه يرى ذلك فتقاً في الأمة وذلك لأن الله ﷻ قال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا﴿١٤٤﴾﴾[النساء، ١٤٤]، وحين ينظر إلى المسلمين إذا دهمهم خطب نادوا الأمم المتحدة وطلبوا النصر من إحدى قوى الكفر، فإنه يرى ذلك جرماً موصلا إلى الخسران، وذلك لقول الله ﷻ: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَـٰدِمِينَ﴿٥٢﴾﴾ [المائدة،٥٢]، وهكذا.

والزاوية الخاصة التي ينظر منها المسلم تدفعه إلى العمل بناء عليها، فإذا رأى أمريكا قد اشتغلت لصياغة حل لقضية فلسطين بناء على رؤيتها للحل، من خلال إقامة كيان فلسطيني بجانب دولة ليهود، فلا بد له من الكفاح ضد هذا المشروع، ويتخذ في سبيل ذلك ما يناسب من أسلوب، كنشر رأي عام بين الناس ضد المشروع، أو الخروج في مظاهرات، أو توزيع بيانات، أو إلصاق ملصقات، أو دفع الناس إلى توقيع عرائض ضده، أو التواصل مع أهل القوة وتبصيرهم بالمشروع وخطره وأن بيدهم الحل لو أرادوا وعزموا وتوكلوا على الله.

والزاوية الخاصة التي ينظر منها المسلم العامل على النهضة تدفعه إلى التأثير بأمته ابتداءً، لتتخذ مبدأه مبدأها، فتنعتق من ربقة الكافر المستعمر، فتقيم لها دولة راسخة الأركان عظيمة البنيان، تؤثر في العالم فتحمل الإسلام نظام هداية ونوراً للعالم.

والزاوية الخاصة التي ينظر منها المسلم في دولته تجعله يبصر مكائد الكافرين، فيشن حرباً هنا ويعاهد هناك، ولا يقاتل إلا في سبيل الله، ولا تدفعه قلة ذات اليد إلى التحول إلى النظرة الاستعمارية لتحصيل الثروات أو مخالفة الحكم الشرعي، وقد قال الله ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَاۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴿٢٨﴾﴾ [التوبة، ٢٨]، وفي المقابل تجعله يضع العالم كله أمامه، ويرسم السياسات التي تسهل عليه فتحه للبلدان لحكمها بالإسلام، فيرسل التجار هنا يحملون رسالة الإسلام معهم، ويوجه الإعلام هناك حاملاً رسالة الإسلام، ويدعم جماعات مسلمة في دولة حربية ليشغلها بنفسها، ويرسل جيشه هناك ليتم الفتح.

ولذلك فإن الاقتصار على النظر إلى المجال المحلي حتى لو كان من خلال زاوية خاصة لا

يعتبر وعياً سياسياً، بل هو إخفاق على صعيد الوعي السياسي، وهو إخفاق على صعيد العمل للنهضة، حيث أن العامل لنهضة أمته لا بد أن ينظر في الأمم والدول التي تؤثر في أمته، وينطلق في نظرته هذه من زاوية خاصة.

وإنه لا يكفي أن يوجد أفراد في الأمة لديهم وعي سياسي، لأن هذا لا يقي الأمة مكائد أعدائها مهما كثر عدد الواعين فيها، بل لا بد أن يبذل الوسع لتصبح الأمة بمجموعها كأمة واعية سياسياً، وإن كان لا يتأتى أن يحصل في كل فرد من أفرادها.

وإنه لا بد من التحذير الشديد من أن ينجرف الواعي اتجاه عاطفته في فهمه للسياسة والموقف الدولي ومن ثم ما يترتب عليه من أعمال، فإن الانجراف باتجاه العاطفة أو الأحكام المسبقة أو التحيز في الفهم لميل ذاتي أو حزبي أو مبدئي يعرض الفهم للضلال، وبالتالي فإنه يعرض الأعمال التي تترتب على هذا الفهم إلى العبثية.

رسم السياسات

إن الواعي سياسيا لا بد له من أن يتخذ خططاً وأساليب ليصل من خلالها إلى الهدف الذي رآه من خلال زاويته الخاصة، وإذا كان هذا الواعي سياسياً هو ممن يرعى شؤون المسلمين ويدير الدفة في دولة الإسلام فإن رسم السياسات – من حيث الأهداف والأسباب الموصلة للأهداف والأساليب المتخذة للوصول للأهداف من خلال أسبابها – أمر لازم ومهم. وإن العالم بعد كل هذا التقدم والعولمة أصبح من العسير فيه ارتجال السياسة الموصلة إلى الهدف ارتجالاً، بل من الخطير ارتجالها، فأصبح رسم السياسات فناً لا بد من الوقوف على مداخله.

وإن رسم السياسات تنطبق عليه القاعدة السببية، فإن السياسات ترسم لتحقق الأهداف، ولا بد لتحقيق الأهداف من أن يبلور الهدف ابتداء، فيكون جلياً واضح المعالم، وليس عنواناً عاماً فقط، فإذا تمت بلورة الهدف ينظر في الأسباب التي توصل إليه، وحين تبلور الأسباب بشكل واضح يتم النظر في الأساليب الموصلة إلى هذه الأهداف انطلاقاً من أسبابها، ثم لا بد من ملاحظة الهدف حين تطبيق الأساليب حتى الوصول إليه.

وإن الهدف متى ما استقر في الذهن يتخذ حياله إجراء، وإن الإجراء يكون على مستوى الهدف، وعلى مستوى العامل للهدف؛ فالإنسان حيث هو سياسي يضع هدفاً لنفسه كأن يُحَصل رزقاً، ثم يتخذ لذلك أسباباً، فتكون الأسباب بحجم الهدف وحجم العامل للهدف، فقوم يقتصرون في التفكير بالرزق على تحصيل القوت، وقوم لا يضعون وصفاً للرزق بل يعملون لما يتيسر، وقوم يطلبون الغنى، فترى الذي يعمل لما يتيسر يطرق أبواباً أقل من ذلك الذي يطلب الغنى من حيث نوعها. والجماعات كذلك تصوغ أهدافها، فمنها من يقتصر هدفها على المشاركة في الواقع الحالّ، ومنها من يطلب تغيير الحال إلى حال غيره، فيتخذ كل منها إجراء بحجم هدفه. وإن العامل على تحقيق الهدف إذا رأى نفسه لا يطيق

تحقيق هدفه الذي يريده، يسعى ليرفع من إمكانياته حتى تتوازى مع هدفه.

وإن الأحزاب العالمية والدول تعمق النظر حين تنظر في رسم السياسات أكثر من الأفراد أو الجماعات محدودة النظر، وذلك أمر بدهي، وسببه أن الفرد إذا اتخذ أسلوباً لهدف مرصود، ووجد أسلوبه غير نافع أشاح بنظره عن الأسلوب إلى غيره، ولم تكلفه إشاحة النظر هذه الكثير، أما الأحزاب العالمية والدول حين تتخذ إجراء على مستوى الحزب أو الدولة ثم تجد إجراءها غير صحيح، فإن تحولها إلى إجراء غيره يأخذ وقتاً، وذلك كحاملة الطائرات التي تكون في عرض البحر، فإنها إذا اتخذت اتجاهاً خطأً لا يوصل إلى هدفها، يضطر ربانها إلى إدارة الدفة بالاتجاه الصحيح، ولكن هذا التغيير سيكلفه عشرات الأميال البحرية حتى تستقيم له سفينته، لضخامته وقوة زخمها.

ولهذا فإن الدولة ترسم خططاً واستراتيجيات، وتتخذ أساليب. والخطط والاستراتيجيات ترسم لتحقيق هدف كبير يحتاج لتحقيقه مراحل من الأهداف الجزئية ويحتاج كذلك وقتاً، أما الأساليب فإنها تتخذ ضمن الخطط والاستراتيجيات. وإن راسم الخطط والاستراتيجيات يرسمها كعناوين عريضة، ثم حين يذهب إلى التنفيذ يرسم الأساليب التي تناسب تحقيق الهدف في الظرف الموجود. وقد اشتهر على دول مثل أمريكا أنها تجعل لها خططاً وتوجهات لكل عشر سنين، فمنذ سنة ٢٠٠٠ إلى ٢٠١٠ كانت منشغلة بنزولها إلى الشرق الأوسط بنفسها وبسط سيطرتها ونفوذها فيه، فخاضت حرب أفغانستان وحرب العراق وفتحت ملف القضية الفلسطينية. ولما دخلت سنة ٢٠١٠ ودخلت الثورات في بلاد المسلين اشتغلت على إخمادها وحرف اتجاهاتها عشر سنين، ولما دخلت سنة ٢٠٢٠ وجهت أنظارها باتجاه الصين. فالخطط حين ترسم لا يتم تغييرها، أما الأساليب فإنها تتغير حسب ما يناسب الواقع والظرف.

إن رسم السياسات عند الكفار غير محدود بقيود مبدئية أو أخلاقية، بعد أن أضحى الاستعمار أبرز من المبدأ في الأعمال السياسية عندهم. وفي المقابل فإن رسم السياسات عند المسلمين مقيد بقيود؛ أولها أن تكون الأهداف والسياسات مبنية على الأحكام الشرعية، ولذلك لا بد لراسم السياسات من أن يطلع على الفقه المتعلق بما يرسمه. والقيد الثاني هو الحفاظ على الدولة وكيانها والأمة وعقيدتها من كل خطر يحدق بها. والقيد الثالث هو تأمين ثقة المسلمين ورضاهم. ومثال ذلك أن النبي ﷺ عاهد قريشاً في صلح الحديبية، ولم ينقض معها الصلح حتى هي نقضته، وقد وضع نصب عينيه حرب خيبر حين عقد الصلح، ولذلك فإن النبي ﷺ لم يستقبل أبا جندل بن سهيل بن عمرو ولا أبا بصير في المدينة بعد أن عقد الصلح، وذلك التزاماً بالأحكام الشرعية المتعلقة بالصلح، والنبي ﷺ يوحى إليه وأمره وفعله وقوله تشريع لأمته. وأما القيد الثاني، فإن أبا

بكر ﷺ لما رأى أن حركة الردة ليست مجرد اعتراض على دفع الزكاة، بل هي تهديد لكيان الدولة، أخذ قراراً حازماً بأن يستأصل هذه الحركة من جذورها، ولما ناقشه الصحابة في ذلك، لم يأخذ بقول أحد منهم، بل اشتد عليهم في رده حتى أمضى رأيه في الحفاظ على كيان الدولة، وهذا ما قد كان. والقيد الثالث، فإن الحاكم إذا قال للناس كل ما عنده أرضاهم أم أسخطهم كان ساذجاً، بل يُعرِّض في الكلام إذا احتاج ذلك حتى يؤمن ثقتهم ورضاهم، ويتخذ من السياسات التي لا تؤلب جماعة المسلمين على حاكمهم، ومن ذلك ما أورده الطبري في تفسيره لسورة المنافقين قوله (وقال ابن أُبي أيضاً: أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ لقد قلت لكم: لا تنفقوا عليهم، لو تركتموهم ما وجدوا ما يأكلون، ويخرجوا ويهربوا. فأتى عمر بن الخطاب إلى النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله ألا تسمع ما يقول ابن أُبي؟ قال: «**وما ذاك؟**» فأخبره وقال: دعني أضرب عنقه يا رسول الله, قال: «**إذا تَرْعَدُ لَهُ آنُفٌ كَثِيرَةٌ بِيَثْرِب**»)، وما ذكره قتادة عن هذه الحادثة (أن عبد الله بن عبد الله بن أبي أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه ، فإن كنت فاعلا فمرني به فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان فيها رجل أبر بوالده مني ، وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله ، فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فأقتله ، فأقتل مؤمناً بكافر ، فأدخل النار; فقال رسول الله ﷺ: «**بل نرفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا**» وجعل بعد ذلك اليوم إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ، ويأخذونه ويعنفونه ويتوعدونه ، فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك عنهم من شأنهم : «**كيف ترى يا عمر، أما والله لو قتلته يوم أمرتني بقتله لأرعدت له آنف، لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته**» قال: فقال عمر: قد والله علمت، لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري).

وإن النبي ﷺ قد استرضى جماعة الأنصار حين وجدوا عليه في تقسيم الغنائم على حديثي الإسلام، ولم يعطهم منها شيئاً، فقد روى أبو سعيد الخدري ﷺ فقال: (لما أعطَى رسولُ اللهِ ﷺ ما أعطي من تلك العطايا في قريشٍ وقبائلِ العربِ ولم يكنْ في الأنصارِ منها شيءٌ وجد هذا الحيُّ من الأنصارِ في أنفسِهم حتى كثُرَت فيهم القالةُ حتى قال قائلُهم لقِيَ رسولُ اللهِ ﷺ قومَه فدخل عليه سعدُ بنُ عبادةَ فقال: يا رسولَ اللهِ إن هذا الحيَّ من الأنصارِ وجدوا عليك في أنفسِهم لما صنعتَ في هذا الفيءِ الذي أصبتَ قسمتَ في قومِك وأعطيت عطايا عظامًا في قبائلِ العربِ ولم يكنْ في هذا الحيِّ من الأنصارِ شيءٌ.

قال: «**فأينَ أنتَ من ذلك يا سعدُ**» قال يا رسولَ اللهِ ما أنا إلا امرُؤٌ من قومي وما أنا من ذلك قال: «**فاجمعْ لي قومَك في هذه الحظيرةِ**» قال فجاء رجلٌ من المهاجرين

فتركهم وجاء آخرونَ فرَدَّهم فلما اجتمعوا أتاه سعدٌ فقال قد اجتمع لك هذا الحيُّ من الأنصارِ قال فأتاهم رسولُ اللهِ ﷺ فحمِدَ اللهَ وأثنَى عليه بالذي هو له أهلٌ ثم قال: «**يا معشرَ الأنصارِ ما قالةٌ بلغتني عنكم ووجدةٌ وجدتموها في أنفسِكم ألم تكونوا ضُلَّالًا فهداكمُ اللهُ بي وعالةً فأغناكم اللهُ وأعداءً فألَّف بينَ قلوبِكم قالوا بل اللهُ ورسولُه أَمَنُّ وأفضلُ قال ألا تجيبوني يا معشرَ الأنصارِ**» قالوا وبماذا نجيبُك يا رسولَ اللهِ؟ وللهِ ولرسولِه المنُّ والفضلُ.

قال: «**أما واللهِ لو شئتم لقلتم فلصدَقتم ولصدقتم: أتيتنا مُكذَّبًا فصدقناك ومخذولًا فنصرناك وطريدًا فآويناك وعائلًا فواسيناك، أوجَدْتُم في أنفسِكم يا معشرَ الأنصارِ في لعاعةٍ من الدنيا تألفتُ قومًا ليُسلِموا ووكَلتُكم إلى إسلامِكم؟ ألا ترضونَ يا معشرَ الأنصارِ أن يذهبَ الناسُ بالشاةِ والبعيرِ وترجعون برسولِ اللهِ ﷺ في رحالِكم؟ فوالذي نفسُ محمدٍ بيدِه إنه لولا الهجرةُ لكنتُ امرَأً من الأنصارِ ولو سلك الناسُ شعبًا لسلكتُ شعبَ الأنصارِ اللهمَّ ارحمِ الأنصارَ وأبناءَ الأنصارِ وأبناءَ أبناءِ الأنصارِ**» قال فبكَى القومُ حتى أخضَلوا لحاهم وقالوا رضينا برسولِ اللهِ ﷺ قسمًا وحظًّا ثم انصرف رسولُ اللهِ ﷺ وتفرَّقوا) [مجمع الزوائد، الهيثمي]

ولا بد من ملاحظة أن الأحوال السياسية أحوال متقلبة، بتقلب الأوضاع وتقلب الفاعلين وتقلب الظروف، فلا يصلح أن تتخذ نفس السياسة دائماً لتحقيق الهدف الواحد، فإن الأسلوب لا يتخذ لذاته، بل لإمكانية استخدامه في الوصول إلى الهدف.

فإذا قامت دولة الإسلام في بلد من بلاد المسلمين، ووضعت نصب عينيها التوسع في بلد مجاور لها، فإنه ينظر في البلد المجاور، فإن كان البلد المجاور يصعب أن يكون الرأي العام فيه للإسلام، وإمكانية جعله شوكة في خاصرة الدولة إذا ضمته عالية؛ لكثرة ما فيه من الجماعات التي بنيت على عين الغرب، فإن الدولة تتخذ معه سياسة النفس الطويل في دعم المسلمين فيه وإمدادهم وخلخلة وضع البلد ضد حاكميه الفاسدين وإيجاد رأي عام لقبول حكم دولة الإسلام له، ثم تتوسع فيه دولة الإسلام. أما إن كان التوسع في بلد يحب أهله الإسلام ويحبون دولة الإسلام فإنه لا يأخذ نفس الاعتبارات بل ربما يذهب باتجاه التوسع المباشر.

وإن راسم السياسات ومنفذها لا بد له من الإرادة والقدرة على الاحتمال وطول النفس، والتحكم بالعواطف، بل قذفها بعيداً حين العمل، واستحضار الجو الإيماني، والعزيمة على الرشد والتوكل على الله، والصبر، فإن الله مع الصابرين، وإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، والله هو مولى المؤمنين، نعم المولى ونعم النصير.

والحمد لله رب العالمين.■

الصحابيُّ الجليلُ عُتبةُ بنُ غزوانَ رضيَ اللهُ عنه...

الأستاذُ محمّدٌ مشهورٌ

في ركبِ السّابقينَ الأوّلينَ يسطعُ اسمُ عُتبةَ بنِ غزوانَ رضيَ اللهُ عنه، الرجلِ الذي حملَ مشعلَ الدّعوةِ في أيّامِها الأولى، فذاقَ مع رسولِ اللهِ ﷺ مرارةَ الحصارِ في شِعبِ أبي طالبٍ، وشاركَ في لحظاتِ الشِّدّةِ حينَ كان الصّحابةُ يُطارَدونَ في طُرقاتِ مكّةَ ويُعذَّبونَ لِيَثنوهُم عن دينِهم، لكنّه لم يتراجعْ ولم يتردّدْ، بل ظلّ ثابتًا كالطّودِ الشّامخِ.

لقد عاشَ عُتبةُ مرحلةَ الاستضعافِ بكلِّ تفاصيلِها: جوعًا، وخوفًا، وتكذيبًا من قريشٍ، حتّى قال يومًا يَخطُبُ أهلَ البصرةِ مُذكِّرًا: «لقد رأيتُني سابعَ سبعةٍ مع رسولِ اللهِ ﷺ ما لنا طعامٌ إلّا ورقُ الشّجرِ...»، في إشارةٍ إلى سنواتِ الجوعِ والحصارِ. كانت أيّامًا سوداءَ في ظاهرِها، لكنّها صنعت رجالًا لا يُقاسونَ بذهبِ الأرضِ كلِّه.

ومضتِ السّنونُ حتّى هاجرَ عُتبةُ إلى المدينةِ، فانتقلَ مع إخوانِه من مرحلةِ الاستضعافِ إلى مرحلةِ التّمكينِ؛ من المطاردةِ في مكّةَ إلى تأسيسِ الدّولةِ في المدينةِ. ثمّ شاركَ في بدرٍ وأُحدٍ والخندقِ وغيرِها، يَشهَدُ أنّ النّصرَ ليس هِبةً بلا ثمنٍ، بل هو ثمرةُ الصّبرِ والثّباتِ والجهادِ.

وحينَ اتّسعتِ الفتوحُ، لم يَعُدْ ذاك الشّابُّ المُعذَّبُ في مكّةَ مُطارَدًا، بل أصبحَ قائدًا وجنديًّا في دولةِ الإسلامِ، حتّى ولّاه عمرُ بنُ الخطّابِ على البصرةِ، ليؤسّسَ هناك مدينةً كاملةً تكونُ قاعدةً عسكريّةً وسياسيّةً للدّولةِ الفتيّةِ. لم يُنشئْ سوقًا للرِّبحِ، بل أنشأ مِصرًا وثكنةً تنطلقُ منها الجيوشُ وتُدارُ منها شؤونُ الدّعوةِ. هكذا فهمَ أنّ العُمرانَ أداةٌ لحملِ رسالةٍ، لا غايةً دنيويّةً بحدِّ ذاتِها.

ومع كلِّ هذا، بقي قلبُه زاهدًا خائفًا من فتنةِ الدّنيا. خطبَ في النّاسِ مُحذِّرًا: "أمّا بعدُ فإنّ الدُّنيا قد آذَنَتْ بصُرمٍ وولَّتْ حذّاءَ، وإنّما بقي منها صُبابةٌ كصُبابةِ الإناءِ صبَّها أحدُكم، وإنّكم مُنتقلونَ منها إلى دارٍ لا زوالَ لها، فانتقلوا ما بحضرتِكم ـ يُريدُ من الخيرِ ـ فلقد بلغني أنّ الحجرَ يُلقى من شفيرِ جهنّمَ فما يَبلُغُ لها قعرًا سبعينَ عامًا، وايمُ اللهِ لَتُملأنَّ، أفعجبتُم؟ ولقد ذُكِرَ لي أنّ ما بينَ مِصراعَيِ الجنّةِ مسيرةُ أربعينَ عامًا، وليأتيَنَّ عليه يومٌ وهو كَظيظٌ من الزّحامِ، ولقد رأيتُني سابعَ سبعةٍ مع رسولِ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلّم ما لنا طعامٌ إلّا ورقُ الشّجرِ حتّى قرِحَتْ منّا أشداقُنا، ولقدِ التقطتُ بُردةً فشققتُها بيني وبينَ سعدٍ، فَاتَّزَرتُ بنصفِها واتَّزرَ سعدٌ بنصفِها، ما منّا أحدٌ اليومَ حيٌّ إلّا أصبحَ أميرًا على مِصرٍ من الأمصارِ، وأعوذُ باللهِ من أن أكونَ عظيمًا في نفسي صغيرًا عندَ اللهِ، وإنّها لم تكنْ نبوّةٌ إلّا تناسختْ حتّى تكونَ عاقبتُها مُلكًا، ستبلونَ الأمراءَ بعدَنا»، مُذكِّرًا أنّ الغايةَ ليست جمعَ المتاعِ، بل نُصرةَ الدّينِ.

وهكذا، انتقلَ عُتبةُ من المطاردةِ في مكّةَ إلى القيادةِ في البصرةِ، ومن الجوعِ في الشِّعبِ إلى إدارةِ بيتِ المالِ، ومن الاستضعافِ إلى التّمكينِ. إنّها قصّةُ رجلٍ جسّدَ سنّةَ اللهِ في الدّعواتِ: صبرٌ وثباتٌ إلى نصرٍ وتمكينٍ.

فهل نتعلّمُ الدّرسَ؟ إنّ طريقَ التّمكينِ اليومَ ليس أقصرَ ممّا سلكَهُ عُتبةُ وإخوانُه، إنّه طريقُ عملٍ وصبرٍ وجهادٍ سياسيٍّ مبدئيٍّ، حتّى يستخلفَ اللهُ الأمّةَ بالخلافةِ الرّاشدةِ على منهاجِ النّبوّةِ.

فكنْ أنتَ عُتبةَ هذا الزّمانِ...

ثابتًا أمامَ المطاردةِ، صابرًا على التّضييقِ، عاملًا لإقامةِ الدّولةِ، حتّى يجعلَ اللهُ لكَ ولأمّتِكَ مخرجًا، وتعودَ القيادةُ الإسلاميّةُ لتقودَ البشريّةَ كما قادتها يومًا عُتبةُ وإخوانُه.■

من مقاصدِ سُورَةِ الأَنْعَامِ

الأستاذة أمُّ آدم

نزلت سُورَةُ الأَنْعَامِ على نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ ﷺ جملةً واحدةً في مكة، يُروى عن عبدالله بنِ عباسٍ رضي اللهُ عنهُ أنَّه قال: «نزلتْ سُورَةُ الأَنْعَامِ بمَكَّةَ ليلًا جملةً، حولَها سبعون ألفَ مَلَكٍ يَجأرون حولَها بالتَّسبيحِ»، رواه الطبرانيّ. وقد قيلَ إنّ نزولَها جملةً واحدةً سببُه أنّها تتناولُ بالمجملِ مسائلَ الأصولِ والعقيدةِ، وهي مسائلُ ليست كالأحكامِ الشرعيّةِ التي تحتاجُ إلى النزولِ مُنَجَّمَةً حسبَ الحوادثِ والنوازلِ.

إذًا فمحورُ السورةِ الأساسيُّ هو **العقيدةُ** وإقامةُ الحججِ والبراهينِ والأدلّةِ عليها وعلى صدقِها، ودحضُ افتراءاتِ المشركينَ وبيانُ زيفِ ما يزعمونَ.

لذلك نجدُ السورةَ تتعرّضُ بكثرةٍ لأدواتِ العقلِ والتفكيرِ مثل البصرِ والسمعِ والأفئدةِ، وقد وضعتْ مقابلةً بديعةً بين المؤمنِ الذي يستجيبُ للحقِّ لأنَّ قلبَه وبصرَه وسمعَه سليمٌ، وبين الكافرِ الذي ضُرِبَ على فؤادِه وسمعِه وبصرِه فلا يستجيبُ. وهذا الخللُ في السمعِ والأفئدةِ والبصرِ ليس فسادًا في أداءِ وظيفتِها، فهي سليمةٌ تسمعُ وتبصرُ، وإنّما هو فسادٌ في إرادةِ الحقِّ أو الباطلِ؛ فهم يرفضونَ الحقَّ ويحاربونَه ويريدونَ الباطلَ ويدافعونَ عنه رغمَ وضوحِ الحقِّ وبيانِ حجّتِه، فما كانَ إلّا أن ضربَ اللهُ على قلوبِهم أكنّةً فطبعَ عليها، وعلى آذانِهم وقرًا فلا يسمعونَ ولا يفقهونَ، فازدادوا غيًّا في ظلماتِ الكفرِ والشركِ التي اختاروها طريقًا لهم، ثمّ زادَهم اللهُ ضلالًا في هذا الطريقِ، يقولُ سبحانهُ وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا صُمٌّ وَبُكۡمٞ فِي ٱلظُّلُمَـٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٣٩﴾

وتكرّرَ هذا المعنى في السورةِ الكريمةِ، ومن أمثلتِه قولُه سبحانهُ وتعالى: ﴿۞إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَۘ وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ٣٦﴾.

جاء في تفسيرِ القرطبيّ: «إنّما يستجيبُ الذين يسمعونَ» أي: سماعَ إصغاءٍ وتفهُّمٍ وإرادةٍ للحقِّ، وهم المؤمنونَ الذين يقبلونَ ما يسمعونَ فينتفعونَ ويعملونَ به. «والموتى يبعثُهم اللهُ ثمّ إليه يُرجَعونَ» أي: هم بمنزلةِ الموتى في أنّهم لا يقبلونَ الحقَّ ولا يُصغونَ إلى حجّةٍ.

ويقولُ سبحانهُ وتعالى: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَۖ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٥﴾جاء في تفسيرِ القرطبيّ: «ومنهم من يستمعُ إليك» يعني المشركينَ كفّارَ مكةَ. «وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً» أي: فعلنا ذلك بهم مجازاةً على كفرِهم، وليس المعنى أنّهم لا يسمعونَ ولا يفقهونَ، ولكن لمّا كانوا لا ينتفعونَ بما يسمعونَ ولا ينقادونَ إلى الحقِّ كانوا بمنزلةِ من لا يسمعُ ولا يفهمُ. والأكنّةُ: الأغطيةُ. «أن يفقهوه» أي: أن يفهموه، والمعنى كراهيةُ أن يفهموه أو لئلّا يفهموه. « وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا» أي: ثِقلًا.

ويقولُ عزّ وجلّ: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمۡعَكُمۡ وَأَبۡصَٰرَكُمۡ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ

ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِهِۦۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾ وفي تفسيرِ القرطبيّ: «قولُه تعالى:﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمۡعَكُمۡ وَأَبۡصَٰرَكُمۡ وَخَتَمَ﴾ أي: أذهبَ وانتزعَ. و(وَخَتَمَ) أي: طبعَ. وقيل: المرادُ المعاني القائمةُ بهذه الجوارحِ، وقد يُذهبُ اللهُ الجوارحَ والأعراضَ جميعًا فلا يُبقي شيئًا. والآيةُ احتجاجٌ على الكفّارِ، ومعنى (أَرَءَيۡتُمۡ) أي: علمتم".

ومن أدواتِ التفكيرِ أيضًا التي تعرّضت لها السورةُ الكريمةُ **عرضُ الوقائعِ والأحداثِ للتفكّرِ فيها ولأخذِ العِبرِ والدروسِ منها**، فضربت السورةُ عدّةَ أمثلةٍ على هذه الوقائعِ، مثل:

• الأحداثُ الجاريةُ في زمنِ الرسولِ ﷺ مع مشركي قريشٍ، الذين هاجموا الإسلامَ وتصدّوا لعقيدتِه بالجدلِ والسؤالِ والسخريةِ والاستهزاءِ. فكثيرٌ من آياتِ السورةِ الكريمةِ كان لها مناسبةٌ لنزولِها، وهذه المواقفُ التي جرت مع رسولِنا الكريمِ ﷺ موضعُ اقتداءٍ وتأسٍ للمؤمنينَ؛ فوجبَ الوقوفُ عندَها والتفكّرُ في حكمتِها وأخذُ العبرةِ منها، والتأسيُ بنبينا الكريمِ ﷺ في منهجِه في الردِّ على الكفّارِ والمشركينَ.

• وذِكرُ بعضِ أخبارِ الرسلِ والأممِ السابقةِ في السورةِ، وفي ذلك مواساةٌ لسيدِنا محمدٍ ﷺ والمؤمنينَ. فكفّارُ قريشٍ الذين رفضوا الحقَّ واستهزؤوا بالدعوةِ وبالنبيِّ عليه السلام وبأصحابِه، دَأبُهم كدَأبِ السابقينَ الذين كفروا وكذّبوا واستهزؤوا برسلِهم عليهم السلام. وفي ذلك مواساةٌ للرسولِ الكريمِ ﷺ وتذكرةٌ بأنَّ عاقبةَ الكافرينَ المكذّبينَ المستهزئينَ واحدةٌ في كلِّ زمانٍ، وهي الهلاكُ، وأنَّ عاقبةَ المؤمنينَ المصدّقينَ نصرٌ من اللهِ، فهو سبحانه وكيلُهم ووليُّهم. ومن هذه الآياتِ قولُه تعالى: ﴿وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ فَمَنۡ ءَامَنَ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلۡعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ وقولُه تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِئ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

• ومن الأمثلةِ على الوقائعِ التي جاءت في السورةِ الكريمةِ أيضًا **الآياتُ الكونيّةُ** كخلقِ الإنسانِ وموته، والليلِ والنهارِ والنجومِ وغيرِ ذلك؛ فهي تتحدّثُ باستفاضةٍ عن دلائلِ عظمةِ الخالقِ في آياتِ الكونِ الواسعةِ، وتُشيرُ إلى قدرتِه عزّ وجلّ.

فكيفَ لمن ينظرُ إلى هذه الآياتِ الكونيةِ العظيمةِ ويتفكّرُ فيها أن لا يؤمنَ بخالقِها! وفي ذلك أيضًا عبرةٌ أنّ اللهَ القادرَ على الخلقِ والإبداعِ، والقادرَ على تسييرِ الكونِ بنظامٍ عظيمٍ دقيقٍ، لقادرٌ سبحانهُ على إهلاكِ الكافرينَ الذين أعرضوا عن الإيمانِ بخالقِهم وعموا عن عبادتِه والتسليمِ له. يقولُ تعالى:﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

وقولُه تعالى:﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ

ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴿٩٨﴾﴾ فالسورةُ بيّنت أنّ هذه الآياتِ والوقائعَ ضُربت ليكونَ فيها عِظةٌ وحُجّةٌ وبرهانٌ، ولكنْ للمؤمنينَ الذين يفقهونَ ويعلمونَ.

وتشيرُ السورةُ في طيّاتِها إلى **طريقةِ محاجّةِ المشركينَ والكافرينَ**، وذلك بالعقلِ والخطابِ الفكريّ ووضعِ الحقِّ مقابلَ الباطلِ، وتضربُ مثالًا عظيمًا على ذلك من سيرةِ سيدِنا إبراهيمَ عليهِ السلامُ في محاجّتِه لأبيهِ آزر، يقولُ تعالى:﴿۞وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾﴾ وكذلك في محاجّتِه لقومِه وإثباتِ أنّ ما يدعونَ ويعبدونَ من دونِ اللهِ من أجرامٍ وكواكبَ هو ضلالٌ مبينٌ، وأنَّ المستحقَّ للعبادةِ هو خالقُ كلِّ شيءٍ سبحانه، يقولُ تعالى:﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

والسورةُ ابتدأت **بحمدِ اللهِ** وقرنتْ حمدَه بآياتٍ دالّةٍ على خلقِه وتدبيرِه، لتُقرّ أنَّ اللهَ وحدَه المستحقَّ للحمدِ والعبادةِ، ولكنَّ الكافرينَ رغم ذلك يَعدِلونَ مع اللهِ آلهةً أخرى، ويُعرضونَ عن آياتِه كلّما عُرِضت لهم بدلًا من طاعتِه وعبادتِه وحمدِه.

يقولُ سبحانهُ وتعالى:﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾﴾

وخُتمت السورةُ بذكرِ **الرُّبوبيّةِ للهِ سبحانهُ وتعالى**، بعد آياتٍ عظيمةٍ تحدّثت عن قدرتِه وعظمتِه ورحمتِه وتدبيرِه، ومصيرِ المؤمنينَ ومصيرِ الكافرينَ المكذّبينَ. فاللهُ هو ربُّ كلِّ شيءٍ وخالقُ كلِّ شيءٍ، خلقَ الإنسانَ في الدنيا ليبتليَه فيها، ولتكونَ حياتُه وصلاتُه ونسكُه فيها للهِ، ومرجعُه منها إلى اللهِ ليُنبّئَه عن أعمالِه ومصيرِه، وهو الذي جعلَ الإنسانَ خليفةً في الأرضِ وهيّأ له الأمورَ لتستقيمَ خلافتُه فيها، فخلقَ له العقلَ والقدرةَ على التفكيرِ، وأرسلَ إليه الرسلَ يدعونَه إلى الإيمانِ ويقدّمونَ له الحُجّةَ التي تهديهِ إلى الصراطِ المستقيمِ، كلَّ ذلك لتستوي وتستقرَّ خلافتُه في الأرضِ، وليؤدّيَ وظيفتَه في الحياةِ يعبدُ ربَّه ولا يُشركُ به شيئًا.

يقولُ تعالى:﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾صدقَ اللهُ العظيمُ.■

انتقال الشام من احتلال حزب البعث وكيل أميركا إلى الاحتلال الأميركي المباشر وبترتيب مع الجولاني ومرقعيه

نفذت القوات الخاصة الأمريكية عملية إنزال بطائرة هليكوبتر على منطقة الضمير في ريف دمشق، بالتنسيق مع وزارة الداخلية السورية، أسفرت عن اعتقال أحمد عبد الله المسعود البدري.

الوعي: الأمة الإسلامية تنتقل من احتلال إلى احتلال. فمتى يقوم أهل القوة بعمل مخلص يتخلصون فيه من كل قوة الاستعمار وأذنابهم العملاء من الحكام؟

اختطاف شباب حزب التحرير في بيروت لثنيهم عن الوقوف في وجه «التفاوض المباشر» و«غير المباشر» وأي تطبيع علاقات من قبل دولة لبنان مع دولة يهود

شهدت منطقة الطريق الجديدة في العاصمة بيروت بعد صلاة الجمعة بتاريخ ١٧ تشرين الأول ٢٠٢٥، حادثة اعتقال شابين من حزب التحرير – ولاية لبنان، أثناء توزيعهما بيانًا ينتقد استمرار الضربات الإسرائيلية على لبنان ويتهم السلطة بالسير في مسار التطبيع.

وبحسب بيان صادر عن المكتب الإعلامي للحزب، أقدم أشخاص يستقلون دراجات نارية – وُصفوا بأنهم تابعون لجهاز أمني رسمي – على توقيف الشابين حسن عبد الهادي وصلاح داوود من أمام مسجد الإمام علي، واقتادوهما من دون إبراز أي مذكرة توقيف أو مستند قانوني.

واعتبر الحزب أن ما جرى «عودة إلى نهج الاعتقالات التعسفية» و«دليل على استمرار سلوك الأجهزة الأمنية نفسها رغم تغيّر بعض الوجوه في السلطة»، متسائلًا إن كان العهد الجديد في لبنان سيحافظ على وعوده بـ«قيام دولة قانون» أم سيواصل «الأساليب القديمة ذاتها».

وأكد حزب التحرير في بيانه أن هذه الإجراءات «لن تُسكت صوته ولا عمله السياسي»، مشيرًا إلى أن الحزب «سيبقى في مواجهة العدوان الإسرائيلي وكل أشكال التطبيع أو الاستسلام للمشاريع الأميركية في لبنان والمنطقة».

وختم الحزب بيانه بمطالبة السلطات اللبنانية بإطلاق سراح المعتقلَين فورًا، معتبرًا أن «الاعتقال لا يستند إلى أي مسوغ قانوني، بل يعكس استمرار نهج القمع الأمني بحق من يعبّر عن رأيه بالكلمة والحجة».

الوعي: بالرغم من إطلاق سراح الشابين لاحقًا إلا أن دولة لبنان مقبلة على تركيز ما تسميه «حصرية قرار الحرب والسلم» ليكون بيد الدولة في لبنان، ومن ضمن ذلك إسكات أصوات الحق التي تصر على إبقاء معاملة العدو على أساس أنه عدو في إشارة إلى دولة يهود.وتبقى الحقيقة المؤلمة أن قرار الحرب والسلم ما زال في يد أميركا، لا في يد الموظفين من حكام البلاد الإسلامية.

حكومة الجولاني تضغط على «المقاتلين الأجانب» بحسب الرابطة الوطنية الجاهلية بغية «ترحيلهم لاحقًا» تنفيذًا لأوامر الدول الغربية ومنها أميركا وفرنسا

تعيد المواجهات الأخيرة التي اندلعت في ريف إدلب بين فصيل فرنسي مسلح هو «الغرباء» والقوات الحكومية السورية، تسليط الضوء على واحد من أكثر الملفات تعقيدًا وإثارة للجدل في المشهد السوري الجديد.

ففي منطقة حارم شمال إدلب، لم تكن الاشتباكات حادثًا أمنيًا معزولًا عن سياقات المشهد، بل بدا وكأنه اختبار لسياسات دمشق تجاه آلاف المقاتلين الأجانب الذين بقوا على الأراضي السورية بعد سنوات الحرب.

وتبدو الصورة الأكثر وضوحًا أن الأحداث الأخيرة شكّلت بداية التعاطي الجدي مع ملف «المقاتلين الأجانب» وعودته إلى الواجهة من جديد، بعدما قطعت الدولة السورية الناشئة شوطًا في بناء الثقة مع المجتمع الدولي فيما يتعلق بمنع الأجانب من تسلم مناصب قيادية في الجيش السوري الجديد.

بدأت القصة في الثاني والعشرين من أكتوبر (تشرين الأول)، بعدما «توجهت قوات الأمن الداخلي إلى أحد المخيمات في بلدة حارم شمال إدلب، حيث يقيم مقاتلون فرنسيون بقيادة عمر ديابي، المعروف باسم (عمر أومسن)» لتنفيذ عملية أمنية، استجابة لـ«شكاوى عن انتهاكات خطرة بينها اختطاف فتاة على يد مجموعة يقودها عمر ديابي الذي رفض تسليم نفسه»، بهدف تطبيق القانون وفرض سلطة الدولة على المخيم، بحسب الرواية الرسمية.

لكن قائد «فرقة الغرباء» الفرنسي من أصول أفريقية، عمر ديابي، نفى الاتهامات الموجهة إليه، متهمًا المخابرات الفرنسية بالوقوف وراء ما وصفه بـ«استهداف سياسي». وتنظر باريس إلى «ديابي» بأنه أحد أبرز المسؤولين عن تجنيد «الجهاديين الناطقين بالفرنسية»، فيما «صنفته واشنطن منذ عام ٢٠١٦ بأنه (إرهابي عالمي)».

وانتهت المعركة بعقد لقاء للمصالحة بوساطة من قادة الفصائل من الأوزبك والطاجيك والتركستان في مخيم حارم، وأعلنت «فرقة الغرباء» على صفحتها على موقع تلغرام أنها توصلت

لاتفاق لوقف إطلاق النار، ووجهت الشكر لـ«إخواننا المهاجرين والأنصار الذين أحسنوا الظن بنا».

تضم «فرقة الغرباء» نحو ٧٠ مقاتلًا فرنسيًا يعيشون مع عائلاتهم داخل مخيم محصن على الحدود التركية مباشرة، ما زاد في صعوبة تنفيذ عملية اقتحام المخيم من قبل القوات الأمنية بعد مواجهات مسلحة انتهت بتوقيع اتفاق من ست نقاط بجهود مشتركة من عدد من قيادات المقاتلين الأجانب. نص الاتفاق على «وقف إطلاق النار، وفتح المخيم أمام الحكومة، وإحالة قضية عمر ديابي إلى (القضاء الشرعي) في وزارة العدل، وسحب السلاح الثقيل، وضمان عدم ملاحقة المشاركين في الاشتباكات».

ويقدر عدد المقاتلين الأجانب بأكثر من خمسة آلاف مقاتل، التحقت النسبة الكبرى منهم في وزارة الدفاع ضمن الفرقة ٨٤. وتواجه الحكومة السورية ضغوطًا من عواصم غربية لإبعادهم عن المناصب العليا، فيما تبنت الحكومة خطابًا لطمأنة دول العالم بأن هؤلاء لن يشكلوا أي خطر على الأمن والاستقرار في المنطقة والعالم. وبحسب الرئيس السوري أحمد الشرع، فإن المقاتلين الذين قاتلوا في صفوف المعارضة هم جزء من المجتمع الجديد، وأن سوريا ستتعامل معهم بروح المصالحة لا الإقصاء. وقد حصل عدد منهم بالفعل على رتب عسكرية ووظائف رسمية في الجيش، باعتبار ذلك ترجمة عملية لسياسة «الاحتواء». واللافت في هذا السياق أن التصريحات الرسمية من داخل المؤسسة العسكرية جاءت لتؤكد أن حادثة «حارم» لا تمثل تغييرًا في هذه السياسة.

الوعي:بعد لقاء الجولاني بماكرون في فرنسا في شهر مايو ٢٠٢٥ تم الحديث عن «إعادة الفرنسيين» المتواجدين في سوريا. ولا يبدو المشهد خارجًا عن هذا السياق، ولو كان هناك تجاوزات من مقاتلين، فيغلب على الظن أن الجولاني كان على أهبة الاستعداد للمتاجرة بالمقاتلين المسلمين من فرنسا لغايات رخيصة ودنيئة، خاصة أنهم أصبحوا عبئًا على دولته التي تبنت الوطنية العفنة تنفيذًا لأوامر الأسياد.

إيران تبيع حزبها العسكري في لبنان

جدد الأمين العام لحزب الله في لبنان، نعيم قاسم، التأكيد على أن الجماعة لن تتخلى عن سلاحها. وأضاف في كلمة اليوم الثلاثاء، أن اتفاق وقف إطلاق النار كان فيه ثمن مقبول لهم وهو انتشار الجيش اللبناني، واستعداد الدولة لتحمّل مسؤوليتها بعد أن نابت الجماعة عنها ٤٢ عامًا، وفق تعبيره.

كما أعلن أن حزب الله يعترف باتفاق وقف إطلاق النار حصرًا جنوب الليطاني.

ورأى أن على إسرائيل الخروج من لبنان وإطلاق سراح الأسرى، مقابل التعهد بعدم تعرّض المستوطنات الشمالية لأي خطر.

كذلك شدد على أنه لا استبدال لاتفاق وقف النار المبرم، ولا اتفاق جديد، موضحًا استعداده لفتح نقاش داخلي بعد تنفيذ بنود الاتفاق القديم، يكون حول قوة لبنان وسيادته دون أي تدخل خارجي.

وقال: «من حقنا أن نقوم بأي شيء لحماية وجودنا».

حكومة لبنان: السلاح بيد الدولة فقط بالمقابل، قال رئيس الحكومة اللبنانية، نواف سلام، إن هدف حكومته هو إعادة بناء الدولة اللبنانية.

جاء هذا بعدما جدد سلام الجمعة الماضي التأكيد على ضرورة العمل على حصرية السلاح بيد الدولة وحدها.

وقال خلال جلسة حوارية ضمن «قمة لبنان للتكنولوجيا والذكاء الاصطناعي»، إن «هناك دعمًا سياسيًا عربيًا دوليًا لانسحاب إسرائيلي كامل ووقف العدوان» على البلاد.

كما شدد على أن «الدولة اللبنانية استعادت حصرية قرار الحرب والسلم»، في رد على إعلان حزب الله أمس رفضه تفاوض لبنان مع إسرائيل.

وكان حزب الله قد وجه الخميس رسالة مفتوحة إلى رئيس الجمهورية جوزيف عون، ورئيس الحكومة، ورئيس مجلس النواب نبيه بري أيضًا، أعلن فيها رفضه التفاوض بين لبنان وإسرائيل. واعتبر أن «لبنان ليس معنيًا راهنًا بالتفاوض مع إسرائيل بل بوقف العدوان».

أتى موقف الحزب بعدما أعلن عون أكثر من مرة استعداد بلاده للتفاوض مع الجانب الإسرائيلي من أجل حل المسائل العالقة، إلا أنه أوضح في الوقت عينه أن إسرائيل ردت على دعوات التفاوض عبر تصعيد اعتداءاتها على الجنوب اللبناني.

يذكر أن الموفد الأميركي توم براك كان قد حضّ لبنان السبت الماضي من المنامة على إجراء مفاوضات مباشرة مع إسرائيل.

قيادة عسكر السودان تسير في تنفيذ مشاريع أميركا من خلال التخطيط لتقسيم السودان أكثر فأكثر

بعد سقوط مدينة الفاشر السودانية بيد «قوات الدعم السريع»، تتجه الأنظار نحو الأبيض؛ المدينة التي قد تحدد مصير السودان. فإذا كانت الفاشر قد أظهرت قدرة «الدعم السريع»

على الحسم الميداني رغم الكلفة الإنسانية الفادحة، فإن الأبيض ستكشف ما إذا كان الجيش قادرًا على وقف هذا التمدد، أم إن البلاد تتجه فعليًا نحو تقسيم لم يعد بالإمكان تجاهله.

الوعي: أصدر حزب التحرير ولاية السودان نشرة بتاريخ ١٨ من صفر الخير ١٤٤٧هـ الثلاثاء ١٢ آب/أغسطس ٢٠٢٥م، ذكر فيها ما يلي:"إن أميركا تسير في فصلها لإقليم دارفور على النسق نفسه الذي سارت عليه في فصلها لجنوب السودان، وذلك أنها ورثت في إقليم دارفور إرث الجماعات المسلحة التي أنشأها الإنجليز والأوروبيون، المتمثل في تهيئة المسرح لعملية الفصل، وذلك من خلال التمرد المسلح على الدولة، والحديث عن المظالم، ودعاوى التهميش، والغبن الاجتماعي، والمطالب الجهوية والعرقية، في السلطة والثروة، وكما فعلت في جنوب السودان، حيث جاءت بجون قرنق ورجالها، ووضعتهم على رأس الجماعات المتمردة التي صنعها الإنجليز والأوروبيون، ودفعوا بها للتمرد المسلح على الدولة لعقود من الزمان! والآن تكرر أميركا المشهد نفسه في إقليم دارفور، لتجعل ابنها المدلل الدعم السريع على رأس حركات دارفور المسلحة لتفصل دارفور برجالها هي، لا برجال الإنجليز والأوروبيين الذين صنعوا التمرد على رجل أميركا (عمر البشير) من قبل".

الجولاني يطلب دعم النظام السعودي وما يسمى رؤية ٢٠٣٠ لضخ أموال لمشاريع استثمارية في الشام

أكد الرئيس السوري أحمد الشرع أن المملكة بقيادة ولي العهد الأمير محمد بن سلمان، هي مفتاح سوريا للعالم، وذلك خلال جلسة حضرها ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الأمير محمد بن سلمان في مؤتمر مبادرة مستقبل الاستثمار ٢٠٢٥ بعنوان «آفاق سوريا الجديدة». (FII٩)

وقال الشرع خلال الجلسة، إن المملكة أصبحت قبلة الاقتصاد في المنطقة، التي تعاني اقتصاديًا وترتبط هذه المعاناة بالأمن القومي والاستراتيجي.

وأوضح أنه بزيارته للمملكة التي تعد أول زيارة خارجية له منذ توليه المنصب، يدرك أهمية السعودية في بناء ومعالجة سوريا بثوبها الجديد، لافتًا إلى ١٤ عامًا من فشل سوريا كدولة مضطربة تعاني من أزمات على مختلف الأصعدة، أبرزها انتشار الكبتاغون والهجرة غير الشرعية التي عانى منها العالم.

وبيّن أنه في حال نجاح الدولة السورية، سيكسب العالم موقعًا استراتيجيًا هامًا كبوابة الشرق، فضلًا عن الموارد البشرية المتنوعة، وتنوع اقتصادي كبير، حيث بدأت دمشق اليوم

صفحة جديدة مع العالم من خلال تسريع الاندماج الاقتصادي والسياسي بدعم من الدول المحبة لسوريا وعلى رأسها المملكة.

الوعي: بعضهم من بعض. فالطيور على أشكالها تقع.

محاولة إيقاف الأعمال الجماعية والمؤثرة لحملة الدعوة في ألمانيا

حظرت ألمانيا اليوم الأربعاء جمعية «إنتر أكتيف» الإسلامية، معلنة مصادرة أصولها وإجراء عمليات تفتيش في جمعيتين إسلاميتين أخريين.

ووفقًا لبيان لوزارة الداخلية الألمانية، تم تفتيش ٧ عقارات في هامبورغ منذ صباح اليوم، و١٢ عقارًا في برلين وولاية هيسه، في إطار التحقيقات الأولية مع جمعيتي «جينيريشن إسلام» و«ريليتايت إسلام» .

وقال وزير الداخلية ألكسندر دوبرينت في البيان: «سنرد بكل قوة القانون على كل من يدعو إلى الخلافة في شوارعنا، ويحرّض على كراهية إسرائيل واليهود على نحو لا يمكن التسامح معه، ويحتقر حقوق المرأة والأقليات»، بحسب قوله.

وفي مظاهرة يوم ٢٧ أبريل/نيسان الماضي نظمتها جمعية «إنتر أكتيف»، رفعت لافتات كتب عليها «الخلافة هي الحل». ودعت الكلمات التي ألقيت خلال المظاهرة إلى إقامة الخلافة كحل للمشكلات الاجتماعية في الدول الإسلامية.

وكانت منظمة «إنتر أكتيف» ضمن قائمة مراقبة السلطات الأمنية الألمانية، التي تعتبر المنظمة التي تأسست عام ٢٠٢٠ مقربة من «حزب التحرير» المحظور منذ عام ٢٠٠٣.

وفي يوليو/تموز ٢٠٢٤، حظرت ألمانيا المركز الإسلامي في هامبورغ ودهمت فروعه، واصفة مهمته بأنها «مخالفة للدستور»، وبأن المركز والمنظمات التابعة له تدعم حزب الله و«تنشر معاداة السامية العدوانية».

الوعي: يأتي هذا القرار الجديد بعد أن رفض مجلس النواب الألماني، أو ما يسمى بـ«البوندستاغ»، في شهر ٥ و٦ من عام ٢٠٢٤ حظر نشاطات إنتر أكتيف بعد أخذ الرفض بأغلبية التصويت.وفجأة صدر القرار في نوفمبر ٢٠٢٥ من مكان آخر وهو وزارة الداخلية، ضاربًا الحائط بكل قيم الديمقراطية المزيفة وأعمال مجلس النواب السابقة. ويهدف – مما يبدو – إلى الحد من النشاطات العلنية والحاشدة في الشوارع، وكذلك الحد من التأثير عبر شبكات التواصل الاجتماعي كتيك توك ويوتيوب وغيرها، ولإخماد أي صوت ضد دولة يهود صاحبة المجازر والمدللة عند الغرب.

﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ١٠٥﴾ (سورة البقرة)

الأستاذ إبراهيم سلامة

الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين يضمرون للمسلمين العداوة والبغضاء، ولا يحبّون أن يُنزَّل عليهم شيء من الخير والهداية من ربّهم، ويكرهون فيهم الإسلام وطاعتهم لله ورسوله ﷺ. فالحذرَ الحذرَ من موالاتهم، والواجبُ التمسُّكُ بالدين وشكر نعمة الله بالإيمان؛ فقد اختصّ سبحانه هذه الأمة بخير رسالة، وجعل فيها نبيَّه ﷺ، وليس بعد نعمة النبوة والإيمان نعمةٌ تُدانيها.

ويظهر حقد أهل الكتاب وعداوتهم جليًّا اليوم في فلسطين؛ في إهدار دماء المسلمين بالمجازر والتطهير العرقي، والدعوة إلى الإذعان والرضوخ لليهود، بينما تُذعن معظم الدول الإسلامية لترامب ونتنياهو، ولا تطالب – ولو بأضعف الإيمان – بإخراج اليهود من الضفة الغربية وقطاع غزة، ليُحْدِثَ الله أمرًا كان مفعولًا. فلا يجوز تسليم السلاح – مع قلّته وبدائيته – بل الواجب أن يخرج اليهود والأمريكان من غزة والضفة، وقد كفى الدولَ المحيطة بفلسطين ما هي فيه من إذعان وخذلان.قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ١١٩ وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ١٢٠﴾ **(البقرة)**؛ ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ أي بالإسلام الحق، **بشيرًا** برحمة الله وجنته لمن آمن وأطاع، وأقام دين الله وحَكَّم شرعه في الحكم والسياسة والاقتصاد والاجتماع وسائر شؤون الحياة، **ونذيرًا** لمن عصى وكفر ورفض التحاكم لشرع الله. وقد بلَّغ رسولُ الله ﷺ الرسالة وأدّى الأمانة، فلا يُسأل بعد ذلك عن أصحاب الجحيم.

ثم حذّر سبحانه فقال: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ﴾؛ فالخطاب له ﷺ، وحكمه لأمته من بعده؛ لن يرضى عنكم أهل الكتاب ما دمتم ملتزمين بدينكم، حتى تتركوا الإسلام وتتّبعوا ملتهم. فلا يجوز السعي لإرضائهم، ولا الإصغاء إلى إملاءاتهم، وقد رأينا اجتماعهم على المسلمين في غزة، وحرقهم الأخضر واليابس، وقتل الشيوخ والأطفال والنساء، في حربٍ دينية صريحة على الإسلام وأهله.

﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾، أي هو الصراط المستقيم والدين القويم الذي بعث الله به

الأنبياء جميعًا، دين التوحيد والطاعة لله. فلا مداهنة في طاعة الله ورسوله ﷺ، ولا التفات لملة الكفر ولا لأهوائهم.

﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾، وهذا وعيدٌ شديد لكل من يتحالف مع اليهود والنصارى، ويواليهم ويُطيعهم ويُعَوِّل على حمايتهم ونصرتهم؛ إذ يتركه الله لشرّ عمله ولا ينصره.

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾(آل عمران)؛ لن تموت نفس حتى تستكمل أجلها ورزقها الذي قدّره الله؛ فلا معنى للإحجام عن طاعة الله والجهاد في سبيله خوفًا من الموت؛ فالموت حقٌّ على المجاهد والقاعد، لا يُعجِّله جهادٌ ولا يُؤخِّره حرصٌ وجبن. فمن أراد ثواب الدنيا وحدها واشتغل بها عن أمر الله، ولاه الله ما تولّى وكان مصيره إلى النار، ومن أراد ثواب الآخرة سعى بطاعة الله ورسوله ﷺ، وجاهد لإعلاء كلمته، ليعمّ عدل الإسلام وأمنه جميع الناس، ﴿وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ الذين يشكرون نعمة الهدى بالإيمان والعمل وتحكيم شرع الله.

ثم ضرب سبحانه للمؤمنين المثل بمن سبقهم من أهل الإيمان والجهاد، فقال: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾(آل عمران)

الرِّبِّيُّون هم المجاهدون الأتقياء المتمسكون بدين الله، فما وهنوا ولا ضعفوا ولا استكانوا لما أصابهم في سبيل الله، بل أقبلوا على ربّهم يدعونه: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا﴾ ، فجمعوا بين التوبة والطلب والثبات والجهاد، فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة، وأعلى من ذلك: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾. ثم قال تعالى محذّرًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾﴾(آل عمران)، الكفار والعلمانيون والمنافقون عدوٌّ لكم، وهدفهم أن يردّوكم عن دينكم حتى تنقلبوا خاسرين. وطاعة الكفار واتباع أنظمتهم وقوانينهم، وطلب النصرة منهم – كما يصنع كثير من حكّام المسلمين اليوم – منزلق خطير قد يجرّ إلى الردّة عن الإيمان. المؤمن الحقّ يلتزم شرع ربّه، ويحكم ويتحاكم إليه، ولا يأخذ من مناهج الكفر شيئًا، ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾؛ فنعم المولى ونعم النصير.

ولله من وراء القصد،

رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ.وصَلَّى اللهُ وسلَّم وبارك على سيّدنا محمّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.■

قلبُ المعادلة: حين يتحوّل الشرع إلى عبء، والتفلّتُ منه إلى منهج!

الأستاذ منذر عبد الله

بات لافتًا في السنوات الأخيرة ظهورُ فئةٍ لا همَّ لها سوى تسويغ الانحراف، والبحث عن المخارج التي تبرّر التفلّت من أحكام الشريعة الإسلامية الغراء. هؤلاء باتوا لا يرون حملَ الإسلام وتطبيقَه طريقًا إلى القوة، ولا منهجًا للنهضة، وإنما يرونه عبئًا ثقيلًا يسعون للتخفّف منه بأي وسيلة ممكنة. وهذا يخالف صريحَ القرآن، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾.

وإذا دَعَوْتَهم بدعوة النبي ﷺ ليطبّقوا الإسلام، قالوا لك: ألا ترى حال البلاد وما تعانيه من تأخّر ومشكلات وفساد وخراب؟ دعنا نصلح الأمور أولًا ونعالج المشكلات، ثم نطبّق الشرع حين تتحسّن ظروف البلد!

وهذا، ولا ريب، منطقٌ أعوج يتوهّم أن المشكلات يمكن أن تُعالَج بشكل صحيح بغير الإسلام، وكأنهم يرون في الإسلام تكليفًا دينيًا غيرَ متضمِّن للحلول والمعالجات! مع أن الإسلام جاء بمعالجاتٍ سياسيةٍ واقتصاديةٍ واجتماعيةٍ وأمنيةٍ وعسكريةٍ فعّالة، هي الوحيدة الصالحة للإنسان ومجتمعه، بخلاف الأنظمة الوضعية التي تفاقم مشكلات الناس بدلا من معالجتها.

بل إن النظام الوضعي نفسه هو الذي أنتج ما تعيشه البلاد من بلاء وفساد وسوء أحوال.

إن جوهر المشكلة في بلاد المسلمين ليس في من يجلس على كرسي الحكم، بل في النظام نفسه الذي يُطبَّق. فالنظام الرأسمالي القائم اليوم في باكستان ومصر وتركيا وسائر البلاد الإسلامية نظام عاجز بطبيعته عن حل المشكلات، لأنه صُمم أصلًا على أساس جعل المنفعة المادية هي المقياس، وفصل الدين عن الحياة، وترك الاقتصاد لقانون العرض والطلب وجشع السوق.

لذلك فهو حتى لو طُبِّق تطبيقًا «نموذجيًا» كما في بعض دول الغرب، لا ينتج استقرارًا حقيقيًا، بل يدخل البلاد في دورات متكررة من الركود والبطالة والتضخم وغلاء الأسعار وتركّز الثروة في أيدي قلة قليلة، بينما تتسع دائرة الفقر والديون على مستوى الأفراد والدولة معًا.

أكثر من قرن من التجارب السياسية في بلاد المسلمين أثبتت ذلك بوضوح؛ تبدلت الرؤوس والوجوه والأحزاب؛ عسكرية كانت أو مدنية، إسلامية بالاسم أو علمانية صريحة، لكنهم جميعًا حافظوا على نفس القاعدة: النظام الرأسمالي وقوانينه ومؤسساته وشروطه الدولية.

فكانت النتيجة واقعًا رديئًا يعاد إنتاجه في كل مرة، مع بعض «الجرعات المسكّنة» من القروض والدعم والبرامج المؤقتة التي تخفف الألم قليلًا ثم سرعان ما تعيد البلاد إلى نقطة الصفر أو إلى ما هو أسوأ.

ويكفي النظر إلى تجربة تركيا في العقود الأخيرة؛ فقد حققت بعضَ مؤشرات النمو مدةً من الزمن، لكنها بقيت أسيرة الديون الخارجية، وتقلبات سعر العملة، وتضخم يلتهم دخول الناس،

وعجز مزمن عن التحرر من قبضة المؤسسات المالية الدولية. هذا كله يدل على أن إعادة إنتاج النظام نفسه في بلاد المسلمين لن يقدّم لهم حلًا حقيقيًا، بل سيُبقيهم يدورون في نفس الحلقة المفرغة التي صنعها هذا النظام من الأساس.

إن التشريع الإسلامي معجزٌ في قوته وفاعليته وانسجامه وتماسكه وتكامله، وفي غناه وسعته، وفي قدرته على تفجير طاقات البشر، وبناء شخصياتهم، وإنتاج القادة والمفكرين والأبطال والمجاهدين، ولكنَّ المنافقين لا يعلمون.

قال النبي ﷺ: «الإسلام يعلو ولا يُعلى».

هذا الانحراف في الرؤية ليس تفصيلًا عابرًا، بل هو قلبٌ للمعادلة من جذورها؛ إذ يتحوّل الشرعُ - الذي هو مصدر العزّة والرفعة - إلى عبءٍ في نظرهم، بينما يصبح الهوى هو الأصل الذي تُقاس عليه الأحكام، ويُعاد تفسيرُ النصوص لخدمته. فبدل أن يبذل المرءُ جهدَه للالتزام، يبذل جهدَه للتهرّب، وبدل أن يبحث عن حكم الله، يبحث عمّا يوافق رغباتِه وعجزَه والوَهنَ الذي يفتك بعزيمته.

إن أخطر ما في هذا المسلك أنّه لا يكتفي بارتكاب المعصية، بل يسعى إلى إلباسها شرعيّةً مصطنعة، فيُفرَغ الشرعُ من محتواه، ويحوَّل إلى قائمةِ استثناءاتٍ لا إلى منهجِ حياة، بل يحاول أن يجعل من الانحراف مدرسةً ومنهجًا، ويفسد بذلك دينَ المسلمين، ولذلك يجب أن يُواجَه هؤلاء الضالّون بقوةٍ حفظًا للدين ومنعًا للفتنة الحالقة.

وهنا نستحضر قول النبي ﷺ في وصف الغرباء الذين يحبّهم الله، ويجسّدون المنهج الحق، حيث قال ﷺ: «طوبى للغرباء». قيل: ومن هم يا رسول الله؟ قال: «الذين يُصلحون إذا فسد الناس». وفي رواية: «يُصلحون ما أفسده الناس».

إن منهجَ هؤلاء الفاسد يجعل الرخصة - التي شُرعت للتيسير عند الحاجة - منهجًا دائمًا، بينما تُهمل العزائم، وهي الأصل في التكليف. هذا، إذا كان فعلهم من قبيل الأخذ بالرخصة، إذ إنه في أغلب الأحيان لا يستند حتى إلى رخصة شرعية، وإنما هو تفلت من الحكم الشرعي.

إن الأمة التي تتعامل مع شرع ربها بهذه الروح لا يمكن أن تنهض؛ فالنهضة لا تصنعها الأهواء، ولا تتحقّق تحت راية التخفّف من الالتزام، ولا بالبحث عن الأسهل، ولا بالعزائم المنكسرة، ولا بمهادنة أعداء الله، بل تقوم حين يُعادُ للشرع مكانُه الطبيعي: مصدرًا للقوة، ودافعًا للعمل، وبوصلةً تهدي ولا تُستبدل.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾.

لم تكن قضية جيفري إبستين مجرّد قصة منحرف ثريّ يستغل قُصَّراً في جزيرة نائية؛ بل هي نافذة كُشف من خلالها وجه حضارة تزعم قيادة العالم، وطبقة سياسية ومالية وإعلامية ترسم مصائر الشعوب وهي غارقة في الوحل. إبستين، المموِّل الأمريكي المدين بالاتجار الجنسي بالقاصرات، لم يكن هامشياً، بل كان جزءاً من "نادي الصفوة": شبكة معقّدة تمتد إلى رؤساء دول، وأمراء، وكبار الساسة، ورجال المال، وأيقونات الثقافة والإعلام. الوثائق القضائية التي كُشف عن جزء منها، ثم موجة "ملفات إبستين" التي تضغط الشعوب اليوم لكشفها كاملة، كشفت أن أسماءً لامعة - من رؤساء أمريكيين سابقين مثل بل كلينتون ودونالد ترامب، إلى شخصيات ملكية كالأمير أندرو، إلى وجوه علمية وفنية معروفة - وردت في السجلات، سواء في "الدفتر الأسود" أو في سجلات الطيران والاتصالات والمواعيد، ما يُظهر حجم الاختلاط العميق بين مراكز القرار السياسي والمالي والإعلامي وبين رجل ثبتت عليه جرائم استعباد جنسي بحق فتيات صغيرات، واستمر مع ذلك سنوات في الحركة داخل أروقة النخب، حتى بعد إدانته الأولى عام ٢٠٠٨. اليوم، وبعد ضغط شعبي وإعلامي متصاعد، يضطر الكونغرس الأمريكي لتمرير قانون يُلزم وزارة العدل و FBI بنشر ملفات إبستين خلال مهلة محدَّدة، بعد سنوات من المناورات، والتسريبات، والقصص المتضاربة عن "انتحاره" في زنزانته، وعن غياب قائمة رسمية لما سُمّي بـ "قائمة الزبائن". لكن جوهر الفضيحة لا يقف عند سؤال: من صعد الطائرة؟ ومن زار الجزيرة؟ بل يتجاوز ذلك إلى طبيعة المنظومة التي تجعل مثل هذا الرجل "نافعةً" للنخبة؛ وسيطاً للمال، والصفقات، والعلاقات، ومصالح الجامعات الكبرى، والشركات العملاقة، ومؤسسات النفوذ. هذه القضية ليست شذوذاً منفرداً؛ بل حلقة في سلسلة طويلة من الفضائح الأخلاقية والسياسية التي تلاحق تلك الطبقة التي تُنصِّب نفسها قيّمةً على "النظام العالمي": منها: فضائح الاستغلال الجنسي، من هوليوود إلى الكنائس، مروراً بساسة انهاروا تحت ضربات حركة MeToo".وفضائح الحروب الكاذبة: أكاذيب أسلحة الدمار الشامل في العراق، وتقارير التعذيب في أبوغريب وغوانتانامو، وفضائح المال والفساد البنكي: من أزمات الرهن العقاري إلى تسريبات "أوراق بنما" وأخواتها، حيث تُهرَّب ثروات الشعوب إلى ملاذات ضريبية بينما يُلقى بالفقراء إلى التقشف والضرائب. والقاسم المشترك بين هذه الفضائح جميعاً ليس "أخطاء أفراد"، بل بُنية حضارة تقوم على تقديس المنفعة، وتسليع الإنسان، وتحويل الجسد إلى سلعة، والمال إلى إله يُعبد من دون الله. إن فضائح إبستين وأمثالها تكشف للمسلمين حقيقةً ينبغي ألا تُنسى: هؤلاء الذين يحدِّدون مصائر العالم، ويملون شروط "الحرب على الإرهاب"، ويفرضون على بلادنا مناهج التعليم، وقوانين الاقتصاد، وحدود "الديمقراطية المقبولة" – ليسوا سوى نخبة فاسدة مهترئة، تشبه من الداخل قصور إبستين: فخامة في الظاهر، وجرائم واستعباد في الباطن.

هذه الحضارة التي تملك المال والسلاح والإعلام لا تملك معياراً ثابتاً للحق والباطل، ولا أساساً خلقيًا مستقراً؛ لأنها فصلت الدين عن الحياة، وجعلت الإنسان - بهواه وشهوته ومصلحته - مصدر التشريع والحكم والقيمة. لذلك فإعادة استنساخ أنظمتها في بلاد المسلمين، والارتهان لنخبها ومؤسساتها، هو في حقيقته ارتماءٌ في حضن منظومة ثبت فسادها في عقر دارها. إن الواجب على الأمة، وهي ترى هذا العري الأخلاقي، ألا تُفتن ببريق الشعارات الغربية عن الحرية والشفافية وسيادة القانون، بل أن تعود إلى مبدئها الرباني، وإلى نظام يقوم على تقوى الله، ومحاسبة الحاكم، وصيانة العرض، وحفظ المال والدم والعقل، لا على الصناعات اللامعة لشبكات المال والجنس والابتزاز. فضائح إبستين ليست صفحةً تُطوى، بل مرآةٌ يرى فيها المسلمون طبيعة من يدّعون قيادة البشرية... ليوقنوا أن حمل رسالة الإسلام للعالم ليس ترفاً فكرياً، بل ضرورة لإنقاذ الإنسان من هذا الانحطاط المقنّع.

الموقع الرسمي لمجلة الوعي:	http://www.al-waie.org
الحساب الرسمي لمجلة الوعي على الفيسبوك:	https://www.facebook.com/alwaie.info
الحساب الرسمي لمجلة الوعي على إكس (التويتر):	https://x.com/alwaiemagazine
القناة الرسمية لمجلة الوعي على الانستغرام:	https://www.instagram.com/alwaiemagazine/
عنوان المجلة على الديلي موشن:	https://www.dailymotion.com/alwaiemagazine